الجمهورية التركية
جامعة غازي
معهد العلوم الاجتماعية
قسم تعليم اللغة العربية

مصطفى صادق الرافعي
وكتابه وحي القلم

رسالة ماجستير

92757

إعداد
جيحون أونلوأر

إشراف
الأستاذ الدكتور/ عزمي يوكسل

أنقرة – ٢٠٠٠

Sosyal Bilimler Enstitüsü Müdürlüğü'ne

Ceyhun Ünlüer'e ait "Mustafa Sadık er-Rafii ve Vahyu'l-Kalem'i" adlı çalışma, jürimiz tarafından Arap Dili Eğitimi Anabilim Dalında YÜKSEK LİSANS TEZİ olarak kabul edilmiştir.

Başkan.....

Prof. Dr. Azmi YÜKSEL (Danışman)

Üye.....

Doç. Dr. Emrullah İŞLER

Üye.....

Doç. Dr. Faruk TOPRAK

المحتويات

المقدمة ..... ت

الاختصارات ..... ث

التمهيد

الوضع السياسي في عهد الرافعي ٢

نظرة عامة حول المناقشات الأدبية في عهد الرافعي..... ٣

الفصل الأول

مصطفي صادق الرافعي: حياته ومؤلفاته

أ. حياته ١٠

١- مولد الرافعي وأسرته..... ١٠

٢- دراسته ١٣

٣- وظيفته ١٥

٤- مصادر تكوين نظرية الرافعي الأدبية ١٦

٥- حياته الأدبية..... ١٧

٦- المعارك الأدبية بين الرافعي وبين معاصريه.....٢٢

٧- أسلوبه..... ٢٥

ب- مؤلفاته..... ٢٩

الدواوين..... ٢٩

الكتب النثرية..... ٣٠

المخطوطات ٣٥

الفصل الثاني

وحي القلم

مضمون الكتاب ٣٨

مقالاته الاجتماعية ٣٩

١- مشكلة الفقر ٤٠

٢- الفروق الاجتماعية ٤١

٣- القبعة ٤٢

٤- مشاكل المرأة المسلمة ٤٢

٥-آراؤه في اللغة والدين ٤٩

أ- اللغة ٥٠

ب- الدين ٥٣

مقالاته الأدبية ٥٥

آراؤه في الأدب والفن ٥٥

أ- الأدب والأديب ٥٥

ب- الأدب والنبوة ٥٨

ج- الفن ٦٠

د- البيان الفني ٦١

ه- النقد الأدبي ٦٢

مقالاته السياسية ٦٤

١- نكبة فلسطين ٦٤

٢- نهضة الأقطار العربية ٦٦

مقالاته الدينية ٦٨

الخاتمة ٧١

المراجع ٧٤

ملخص الرسالة باللغة العربية ٧٨

المقدمة

تناولت في هذه الرسالة حياة الرافعي ومؤلفاته وكتابه المشهور المسمى بوحي القلم والذي يعكس كافة مميزات الكاتب ومما لا شك فيه أن الكاتب يعتبر من الأدباء المشهورين في الأدب العربي المعاصر في مصر. ونظرا لأنه لم يتم تناول أي جانب من جوانب الحياة الأدبية للرافعي عدا مقالين ألفهما الأستاذ الدكتور أرول آى ييلديز (Prof. Dr. Erol AYYILDIZ) ضمن البيئة الأكاديمية في تركيا، فإن ذلك يشير إلى أن "الرافعي" غير معروف في تركيا، الأمر الذي جعلني أقوم بهذا البحث.

وفي التمهيد من الرسالة قدمت بخطوط عريضة الأحداث السياسية والمناقشات الأدبية في الفترة ما بين ١٨٨٠-١٩٣٧، وهى الفترة التي عاش فيها الرافعي، علما بأن هذه الطريقة مما لا مناص له في البحوث العلمية والأدبية، ليكون الموضوع مفهوما بشكل صحيح وأفضل. ويلي التمهيد فصلان وخاتمة.

وتناولت في **الفصل الأول** من الرسالة حياة الرافعي ومؤلفاته، وفي **الفصل الثاني** حاولت تقديم آراء الرافعي في المواضيع المختلفة التي عبر عنها الكاتب من خلال كتابه وحي القلم.

وفي الختام، أقدم أسمى شكري وامتناني **للأستاذ الدكتور/عزمي يوكسل** (**Prof. Dr. Azmi YÜKSEL**) الذي ساعدني في جميع مراحل تدوين هذا البحث. كما أقدم شكري لكل من لم يبخل بتقديم العون والمساعدة في إعداد البحث.

أنقرة -٢٠٠٠ **جيحون أونلوار**

الاختصارات

ب.ت.	: بدون تاريخ
م	: المترجم
ع.	: العدد (للمجلات)
ج	: المجلد
وحي...	: مصطفى صادق الرافعي، **وحي القلم**، بيروت، ب.ت.
حياة...	: العريان، محمد سعيد، **حياة الرافعي**، القاهرة ١٩٥٥

T.C. YÜKSEKÖĞRETİM KURULU
DOKÜMANTASYON MERKEZİ

التمهيد

التمهيد

الوضع السياسي في عهد الرافعي

إن العهد الذي يعيش فيه الرافعي كان فترة انتقالية يغلب عليها طابع التحرر الوطني بالنسبة لمصر فقد ولد الرافعي قبيل انتقال الحكم في مصر من أيدي الأتراك إلى أيدي الإنجليز، بعد فشل ثورة أحمد عرابي باشا عام ١٨٨٢، وشهد في شبابه الحركات التحريرية داخل مصر في سبيل التخلص من الاستعمار البريطاني منذ أكثر من عشرين عاما امتدت حتى الحرب العالمية الأولى حين بدأ المصريون يستردون استقلالهم، حيث تم تشكيل "الحزب الوطني" و"حزب الأمة" عام ١٩٠٨ بعد عام من "حادثة دنشواي" التي اضطرت اللورد كرومر (Lord Cromer) إلى الاستقالة.[١]

وعقد رئيس الحزب الوطني مصطفى كامل (ت ١٩٠٨) مؤتمرا وطنيا يرفع فيه شعار "مصر للمصريين"، وقتل بطرس غالي الذي فرضه الإنجليز على الخديوي رئيسا لمجلس النظار (مجلس الوزراء) عام ١٩١٠، وتولى سعد زغلول النظارة الحقانية (وزارة العدل) ثم استقال منها عام ١٩١٢، وأعلن دستور عام ١٩١٣ الذي منح مصر نظاما برلمانيا، وانتخب سعد زغلول نائبا لرئيس البرلمان، وأعلن السيادة الإنجليزية على مصر عام ١٩١٤ بعد فرض الأحكام

---

[١] أنظر: كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الاسلامية**، م. منير بعلبكي، نبيه أمين فارس، بيروت، ١٩٩٣، ص ٥٩١-٥٩٢.

العرفية عليها، وتم إعلان الحرب على تركيا وتجنيد العمال المصريين بالقوة لدخول الحرب، وأنشئ "حزب الوفد" عام ١٩١٨ ليطالب باستقلال مصر، ثم نفي سعد زغلول وثلاثة من أعوانه، وبدأت بعد ذلك المفاوضات الحامية بين الوفد والإنجليز حول استقلال مصر (١٩١٩-١٩٢٢). واتخذ فؤاد لقب "ملك مصر" وتم إعلان الدستور الجديد في أثناء نفي سعد زغلول إلى جزر سيشل فجبل طارق بعده، وعاد زغلول عام ١٩٢٤، ثم توالى نضال الوفد الذي سيطر على الحكم بصورة عامة من أجل الاستقلال، حتى توقيع معاهدة لندن التي تقضي بإنهاء الاحتلال البريطاني في آب ١٩٣٦، مع إعطاء حق سيادة قناة السويس للإنجليز، وعقد حلف بين مصر وبريطانيا، وانشق الوفد وضعف عند تولي فاروق الحكم سنة ٢١٩٣٧، أى سنة وفاة الرافعي.

نظرة عامة حول المناقشات الأدبية في عهد الرافعي

سادت الفترة التي عاش فيها الرافعي تيارات عديدة أثرت فيه، وفي غيره من الأدباء، وشهدت هذه الفترة أحداثا كبيرة، جاء بعضها نتيجة الاتصال بأوربا عن طريق الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ من جانب وعن طريق البعثات التي أرسلها محمد علي باشا إلى أوروبا من جانب آخر. وجاء بعض هذه الأحداث نتيجة الاستعمار الإنجليزي لمصر عام ١٨٨٢، وهذا يعني بعد سنتين من ولادة الرافعي.

وجاء مع انتهاء الحكم الإنجليزي على مصر، تعدد الصحف السياسية والأدبية كحلبة الصراع الحزبي، وأسس كل حزب لنفسه صحيفة ناطقة باسمه

---

٢ **المصدر نفسه**، ص ٧١١-٧٣٩؛ Armaoğlu, Fahir, **20. Yüzyıl Siyasi Tarihi (1914-1980)**, Ankara, 1991, c. I, s. 204-206.

ويعبر فيها عن آرائه السياسية والحزبية، واهتمت كل صحيفة باستكتاب المقالات التي من شأنها أن تستقطب أكثر عدد من القراء، ولم يقتصر الأمر على الصحف الحزبية فحسب، بل كثرت كذلك المجلات الثقافية والأدبية، نتيجة التقدم الثقافي والوعي الصحفي والتطور الأدبي. فكما كانت هناك صحيفة **السياسة**، و**البلاغ**، و**كوكب الشرق**، و**الجهاد** في الساحة السياسية، كانت هناك **الهلال**، و**المقتطف**، و**العصور**، و**الرسالة**، و**المجلة الجديدة** في الساحة الأدبية والثقافية[٣].

ولم تلبث الخصومات التي اشتدت بين الأحزاب في السياسة أن انتقلت إلى الكتابة فإذا الكتاب يتخاصمون خصومات عنيفة في الأدب والمثل العليا. فقد بدأ نجم بعض الاسماء بالسطوع من بينها عباس محمود العقاد والرافعي وطه حسين ومحمد حسين هيكل وأحمد لطفي السيد وسلامة موسى.

بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر، أخذ الإنجليز يشنون موقفا معاديا ضد اللغة العربية، وبالتالي ضد اللغة الفرنسية التي كانت منتشرة آنذاك بعد أن أمسك الفرنسيون بزمام الحكم في مصر لمدة طويلة. وانتهج الانجليز سياسة جديدة في ترسيخ موقفهم المعادي للغة العربية الفصحى والذي تمثل في فرض اللهجة المصرية لكي تكون لغة التخاطب الرسمية. فأوهموا الناس بأن سر تخلفهم الحضاري يعود إلى تمسكهم بالفصحى في الكتابة.[٤]

وفي عام ١٩٠١ ألف القاضي الإنجليزي ويلمور (J.Solden Willmore) كتابا دعا فيه إلى هجر الفصحى، اقترح فيه اتخاذ العامية القاهرية لغة للعلم

---

٣ شوقي ضيف، **الأدب العربي المعاصر في مصر**، ط. الخامسة، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٨٩.

٤ عمر الدسوقي، **في الأدب الحديث**، القاهرة، ١٩٥١، ج ٢، ص ٤٠-٤١.

والأدب مع كتابتها بالحروف اللاتينية وسماه: "اللغة العربية في مصر" وقد أثار كتابه ضجة فاعترض عليه الكثيرون، وقد أيدت مجلة **المقتطف** هذه الدعوة.[٥]

وفي الوقت نفسه كتب إسكندر المعلوف مقالة أيد فيها اتخاذ اللهجات العامية كالمصرية والشامية لغة للكتابة، واستنكر تعلق المسلمين بالعربية الفصحى.[٦]

ونادى هذه الفكرة المهندس الإنجليزي ويليم ويلكوكس (William Wilcox) خطب في نادي الأزبكية عام ١٨٩٣ خلال خطبة عنوانها: "لم لم توجد قوة الإختراع لدى المصريين"، ويجيب على هذا السؤال فيقول: إن السر في ذلك هو تمسكهم باللغة العربية الفصحى وأنهم لو هجروها إلى العامية لتقدموا وبرعوا، كما فعل الإنجليز حين هجروا اللاتينية التي كانت لغة الكتابة عندهم.[٧]

ثم اقترح ويليم ويلكوكس من جديد في عام ١٩٢٦ إهمال اللغة العربية الفصحى مترجما بعض النماذج من الأدب الانجليزي إلى العامية المصرية، فأشاد سلامة موسى بالاقتراح وأيده.[٨]

ثم جسد سلامة موسى هذا الاتجاه في كتابه **اليوم والغد** ونشره عام ١٩٢٧، وفيه يعلن عن ضرورة التمسك بالتعاليم الغربية ونبذ العقلية الشرقية، فهو ينسب المصريين شعبا ولغة إلى الغرب. ويطالب بالكتابة بأسلوب مصري

---

٥ محمد محمد حسين، **الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، بيروت، ١٩٨٦، ط. الثامنة، ج ٢، ص ٣٥٩-٣٦٠.

٦ **المصدر نفسه**، ج ٢، ص ٣٦٢-٣٦٣.

٧ **المصدر نفسه**، والصفحة نفسها؛ الدسوقي، **المصدر السابق**، ص ٤١.

٨ محمد محمد حسين، **المصدر السابق**، ج ٢، ص ٣٦١.

T.C. YÜKSEKÖĞRETİM KURULU
DOKÜMANTASYON MERKEZİ

حديث وبتمصير" العلم عن طريق الترجمة، كما يطالب بترسيخ الصلة عن طريق المصاهرة وأسلوب الحياة ونقل الاختراعات الغربية إلى مصر وتقليد الأدب الأوربي مع الابتعاد عن الأدب العربي.[٩]

وبعد ما يقارب إحدى عشرة سنة تابع طه حسين هذا الاتجاه مع الأخذ بجانب الحذر والحيطة، حيث يرى في كتابه **مستقبل الثقافة في مصر**، أن مصر دائما جزء من أوروبا، ويطالب بأن يجعل للقومية محورا اقليما ضيقا وبأن تكون لغة القرآن كاللغات القديمة بالقياس إلى اللغات الحديثة مثل ما بين الفرنسية واللاتينية بمثابة اللغات الميتة التي انبثقت منها لغات حية مثل اللغة اللاتينية التي انشقت منها عدد من اللغات الحديثة كالفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية.[١٠]

وإلى جانب الدعوة إلى العامية ظهرت دعوة أخرى وهي المطالبة بتكوين أدب قومي. ومن رواد هذه الدعوة محمد حسين هيكل الذي دعا الأدباء إلى تبني اتجاه قومي في الأدب والذي زعم أن مصر في عصرها الحديث أقرب إلى مصر الفرعونية منها إلى مصر الإسلامية فنشر عدة قصص يستلهمها من تاريخ الفراعنة مثل قصصه " إيزس" و "أفرودت". ويناقش "هيكل" فيها العقائد الفرعونية ويقارن بينها وبين العقائد السماوية محاولا أن يجعل الفرعونية ذات أثر في الأديان السماوية.[١١] وبعد عام ١٩٣٣ اتصل بالتراث العربي وبالتاريخ

---

٩ **المصدر نفسه**، ج ٢، ص ٢٢٢-٢٢٧.

١٠ **المصدر نفسه**، ج ٢، ص ٢٢٩-٢٤١.

١١ مصطفى الشكعة، **مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا**، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٤-٣٥.

الإسلامي. فرأى الحضارة الإسلامية عن قرب[١٢] وكتب عن **حياة محمد و أبو بكر والفاروق عمر وفي منزل الوحي.**

وبدأ أحمد لطفي السيد مدير الجامعة المصرية يثير المناقشة حيث نادى بالتقريب بين العامية والفصحى عن طريق الاصلاح فيهما. يرى لطفي السيد أنه من الضروري صياغة مفردات وتراكيب اللغة العامية في ثوب اللغة الفصحى.[١٣]

وفي عام ١٩٢٦ أصدر طه حسين كتابه **في الشعر الجاهلي** الذي جمعه من محاضراته التي ألقاها على طلاب الجامعة وبنى دراسته على منهج ديكارت (Descartes) الذي يدعو إلى الشك في كل شيء. وطالب فيه أن يتجرد الباحث من دينه وقوميته حتى يضمن أنه يسلك المنهج السليم لعلاج قضية تاريخية أو أدبية، وذلك قوله: "يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى عواطفنا القومية وكل مشخصاتها، وأن ننسى عواطفنا الدينية وكل ما يتصل بها، وأن ننسى ما يضاد هذه العواطف القومية والدينية..."[١٤] ولا يكتفي طه حسين بتلك الدعوة، بل يأخذ في تطبيقها عمليا في قوله: "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم ونشأة العرب المستعربة فيها..."[١٥] وهذه الآراء لطه حسين أثارت ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية والدينية، وانتقده الرافعي

---

١٢ Rahmi Er, "Muhammed Huseyin Heykel ve Onun Dil ve Edebiyatla İlgili Bazı Görüşleri", *Dil ve Tarih Coğrafya Fakültesi Dergisi*, C. XXXVII, Sayı: 1-2, Ankara 1995, s. 599-623.

١٣ الشكعة، **المصدر السابق**، ص ٤٥.

١٤ طه حسين، **في الأدب الجاهلي**، ط. السادسة عشرة، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٦٨.

١٥ الشكعة، **المصدر السابق**، ص ٣٥، نقلا عن السياسة الأسبوعية، ع. ١٤، مايو عام ١٩٢٧.

بعنف واختص كتابه **تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد** في رد ذلك الآراء.

الفصل الأول

مصطفي صادق الرافعي: حياته ومؤلفاته

الفصل الأول

مصطفي صادق الرافعي: حياته ومؤلفاته

أ. حياته

١- مولد الرافعي وأسرته

ولد مصطفى صادق الرافعي، بقرية بهتيم من محافظة القليوبية بمصر في شهر يناير عام ١٨٨٠[١٦]، وهو ينتمى إلى أسرة لبنانية الأصل من طرابلس الشام[١٧]، ورأس الأسرة هو الشيخ عبد القادر الرافعي المتوفى في عام ١٨١٥ بطرابلس الشام، ويقال أن نسب أسرة الرافعي يمتد إلى الخليفة عمر بن الخطاب[١٨].

---

١٦ وورد في **الأعلام** أنه ولد سنة ١٨٨١. وذكر مصطفى الشكعة أن صاحب **الأعلام** قد أخطأ في قوله: "إن الرافعي ولد وتوفى في طنطا" وبالرجوع إلى **الأعلام** تبين أن الزركلي ذكر فيه أن الرافعي ولد في بهتيم (بمنزل والد أمه)، وكانت وفاته في طنطا. والشكعة هو الذي أخطأ في تخطئة الزركلي. راجع: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج ٧، ص ٢٣٥، بيروت، ١٩٩٢؛ والشكعة، **المصدر السابق**، ص ١٩.

١٧ لمعلومات مفصلة عن حياة الرافعي راجع: **حياة...**، ص ٢٣؛ شوقي ضيف، **المصدر السابق** ، ص ٢٤٢؛ الزركلي، **المصدر نفسه** والصفحة نفسها؛ عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ج٣، ص٨٦٧، بيروت ١٩٩٤؛ حنا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب الحديث**، ص٣١٠، بيروت ١٩٨٦. يوسف إليان ساركيس، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، ص ٩٢٦، القاهرة، ١٩٢٨.

١٨ **حياة...**، ص ٢٤.

ويعتبر جده الشيخ محمد طاهر الرافعي أول الوافدين إلي مصر من هـذه الأسرة المعروفة في طرابلس، حيث انتقل إلى مصر عـام ١٨٢٧ قبـل مولـد مصطفى صادق الرافعي بثلاث وخمسين سنة، عندما تم تعيينه قاضيا للحنفية فـي مصر من قبل الحكومة العثمانية، وبقدومه أصبح المذهب الحنفي مـن المذاهـب الجارية في القضاء الشرعي بمصر[١٩].

وكان أهم ما اشتهر به أعلام الأسرة في مصر وفي لبنان هو اشـتغالهم بالعلم والأدب، وتوليهم القضاء الشرعي، حتى وصل الأمر كما يـروي محمـد سعيد العريان إلى الحد الذي اجتمع فيه من أسرة الرافعي أربعون قاضيـا فـي مختلف المحاكم الشرعية المصرية في وقت واحد، وأوشـك وظـائف القضـاء والفتوى أن تكون مقصورة على أسرة الرافعي، وإن القاضي الإنجليزي اللـورد كرومر (Lord Cromer) قد تنبه إلى هذه الظاهرة فكتبها في تقاريره إلـى وزارة الخارجية البريطانية[٢٠]. لأنها كانت ظاهرة ملفتة للنظر.

وكان والد الرافعي هو الشيخ عبد الرازق الرافعي الذي تولـى منصـب القضاء الشرعي في كثير من أقاليم مصر وكان آخر عمل له هو رئاسة محكمـة طنطا الشرعية[٢١].

وفي تعريف الزركلي بعبد القادر بن عبد اللطيف بن أبي بكر بن لطفـي البيساري الرافعي (ت ١٨١٥) ذكر أنه أول من لقب بالرافعي في مصر والشـام،

---

١٩ **المصدر نفسه** والصفحة نفسها.

٢٠ **المصدر نفسه** والصفحة نفسها.

٢١ **المصدر نفسه**، ص ٢٥.

وأن الأسرة كانت تعرف قبل ذلك بالبيسارية (نسبة إلى بيسارة من قرى أسـيوط بمصر)[٢٢]، وهذا يعني أن مصطفى صادق الرافعي مصري الأصل.

وأخذ يتنقل من مكان إلى آخر تبعا لتنقلات أبيه إلى أن استقر به المقـام في طنطا، وظل بها طوال حياته، وقد هيأت هذه البيئة المرتبطة بالعلوم الدينيـة والثقافة الإسلامية للرافعي أسباب تكوينه الفكري والعلمي والأدبي.

أما والدة الرافعي فهى ابنة التاجر الحلبي المعروف الشيخ الطوخي الـذي أقام في مصر، وزاول نشاطه التجاري بين مصر وسوريا، وقد آثر السكنى فـي بهتيم التي كان له فيها ضيعة وقد توفيت في أسيوط ودفنت بها ثم نقلت إلى مدافن الأسرة بطنطا.[٢٣]

يروي العريان أن اسم "الرافعي" معروف في تاريخ الفقه الإسلامي منذ قرون، ويقول في ذلك ما يلى:

*"...وأحسب أن هناك صلة ما بين أسرة الرافعـي فـي طرابلـس الشام وبين الإمام الرافعي المشهور صـاحب **الشـافعي**، وقـد سـألت الرافعي مرة عن هذه الصلة، فقال: "لا أدري، ولكني سمعت من بعـض أهلي أن أول ما عرف منا بهذا الاسم شيخ من آبائي كان من أهل الفقـه وله حظ من الاجتهاد والنظر في مسائله، فلقبه أهل عصـره بـالرافعي تشبيها له بالإمام الكبير الشيخ محمود الرافعي صاحب الرأى المشـهور عند الشافعية، والله أعلم."* [٢٤]

---

٢٢ الزركلي، **المصدرالسابق**، ج٤، ص٤٠.

٢٣ **حياة...**، ص ٢٧-٢٨.

٢٤ **المصدر نفسه**، ص ٢٦-٢٧.

T.C. YÜKSEKÖĞRETİM KURULU
DOKÜMANTASYON MERKEZİ

وفي سنة ١٩٠٤ تزوج الرافعي في الرابعة والعشرين من عمره بـــأخت عبد الرحمن البرقوقي، صاحب مجلة **البيان**، وكانت صلة الأدب بيـــن الرجليـــن سبب هذا الزواج، وقد أنجب الرافعي من زوجته هذه أحد عشر مولـــودا، مـــات إحداهم في سنتها الأولى، وخلف عشرة[٢٥].

٢- دراسته

كانت أسرة الرافعي متمسكة بإلمبادئ الإسلامية، وحريصة علي تربيـــة أبناءها. وقد حظى مصطفى صادق بهذه التربية حظا وافرا، وحرص أبوه علـــى أن يحفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، ولقنه كثيرا من العلوم الإسلامية قبـــل أن يذهب إلى المدرسة، فلما تم له ذلك ألحقه بمدرسة دمنهورالإبتدائية فـــي ســـن الثانية عشرة من العمر حيث كان يتولى عمله القضائي، ولم يمكث بها عاما حتـــى انتقل إلى المدرسة الأميرية بالمنصورة فأكمل دراسته الإبتدائية، ونـــال الشـــهادة في عام ٢٦١٨٩٧.

وفي المنصورة – وبعد أن أتم دراسته الإبتدائية – أصيب بمرض التيفود في السابعة عشرة من عمره، كان لها تأثير بالغ في حياته، على الرغم من شفائه منها، فقد خلفت وراءها مضاعفات مزمنة أصابت صوته بحبسة، وأصابت أذنيـــه بوقر، وبسبب المرض أعصابيا لم تنفع معه معالجة الأطباء، ولذلك أخذ الصمـــم

---

٢٥ **المصدر نفسه**، ص ٥٩.

٢٦ **المصدر نفسه**، ص ٢٨.

يتفاقم عاما بعد عام حتى فقدت إحدى أذنيه السمع تماما، ثـــم تبعتـــها الأخـــرى، فانقطع عن أصوات العالم، وهو في سن الثلاثين تقريبا.[٢٧]

ثم انتقل الداء إلى صدره فأصاب حبال صوته حتى كاد يمنعـــه الكـــلام، وجعلت تلك الحبسة في حلقه صوتا أشبه بصراخ الطفل[٢٨].

وهذه المصائب كلها قد أثرت في نفس الرافعي تأثيرا عميقا، وهذه الأثـــر ينعكس في بعض مقالاته، حيث يصف نفسه حين يقول:

"فبينما العبقرى الذي يملأ الدنيا من آثاره النابغة، تراه في حالة مـن أحواله يدأب لا يألي فيجد في العمل ويبذل الوسع فيـــه ويصـــبر علـــى مطاولة التعب في إحكامه، ويفيض به فيضا وكأن في طبيعتـــــه الربيـــع المفتح طول أيامه بالجمال، إذا هو في حالة أخرى يتلكـــأ ويـــتربص لا يعمل شيئا كأنما دخل في قريحته الشتاء، وفي ثالثة يتباطأ ويتلبـــث فـــلا يعن له جديد كأنما حبس عنه فكره أو نبا طبعه أو هو في قيـــظ طبيعتـــه وخمولها وضجرها، ثم لا تمضي على ذلك إلا توة وساعة فـــإذا علـــى صيفه هواء نوفمبر وديسمبر... وإذا هو منبعث ملء القـــوة والنشـــاط، وربما يأخذ في غرض من الكتابة قد رسم له المعنى وهيأ له المادة، فـــلا يكاد يمض لنحو منه حتى تتناسخ في ذهنه المعاني فإذا هو يكتب مـــا لا يشبه ما كان ابتدأ به، ويأتيه غير ما كان قد أراده." [٢٩]

---

[٢٧] **المصدر نفسه**، ص ٢٩؛ شوقي ضيف، **المصدر السابق** ص ٢٤٢؛ علي عبد الحليم محمـــود، **نحو أدب إسلامي معاصر**، الرياض، ١٩٨١، ص ٢٨-٢٩؛ **المفيد في تراجم الشعراء والأدبـاء والمفكرين**، ١٩٩٣، ج١، ص١٣٤.

[٢٨] **حياة...**، ص ٣٠.

[٢٩] **وحي...**، ٢٢٨/٣ .

والرافعي كان مثل عباس محمود العقاد (ت ١٩٦٤) في تعليمه، فكلاهما لم يحصل على شهادة أخرى غير الشهادة الابتدائية، وكذلك كان الرافعي مثل طه حسين (ت ١٩٧٣) "صاحب عاهة دائمة" وهى فقدان البصر عند طه حسين، وفقدان السمع عند الرافعي[٣٠].

٣- وظائفه

وفي أبريل سنة ١٨٩٩ عين كاتبا بمحكمة طلخا الشرعية، واشتغل فيها فترة من الزمن، وبعد بضع سنوات انتقل الرافعي إلي محكمة إيتاى البارود بمحافظة البحيرة، وفي هذه المدينة بدأت عاطفة الرافعي، وقد عرف على "جسر كفر الزيات" فتاة حسناء، وهو كل يوم يقطع هذا الجسر ذاهبا إلى مقر وظيفته وعائدا منه إلى بيته، وذلك عام ١٩٠١، عرف قلبه الحب في هذه الفاتنة "عصفورة" لأول مرة. ثم انتقل إلى محكمة طنطا الشرعية، والأهلية،[٣١] واستمر هذه الوظيفة إلى أن توفى في ١٠ من مايو سنة ١٩٣٧. وحاول أصدقاءه والمعجبون به أن ينقلوه إلى القاهرة فرفض، لأن قبر أمه وأبيه كان من أسباب تمسكه بالحياة فيها، وكذلك هى البلد الذي فيها مقام السيد أحمد البدوي وكان للرافعي صلة روحية به، وله فيه مدائح وتوسلات شعرية.[٣٢]

---

٣٠ مصطفى صادق الرافعي، **من وحى القلم**، (تقديم رجاء النقاش)، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١١.

٣١ **حياة...**، ص٣٤-٣٥.

٣٢ **المصدر نفسه**، ص ٢٥.

٤- مصادر تكوين نظرية الرافعي الأدبية

كان مرض الرافعي سببا في عدم مواصلة رحلة التعليم المدرسي، ولكنه أبى إلا أن يواصل هذه المرحلة بجهده الشخصي، فعكف على القراءة يملأ وقته بها، معتمدا في ذلك على مواهبه الشخصية. وقد استطاع أن يلم بكثير من أدب ونحو وصرف وبلاغة وتفسير وحديث وتصوف وتاريخ وفلسفة وغير ذلك من انواع العلوم من مكتبة أبيه، ولقد قرأ القدماء العرب والمسلمين ومحدثيهم وحفظ من ذلك ما يعجبه وما يدل على ميله الأدبي، فقد حفظ القرآن الكريم وجوده بأحكام القراءة وهو في العاشرة من عمره[٣٣]، وحفظ **نهج البلاغة** ولما يبلغ العشرين، كما قرأ ابن المقفع (ت ٧٥٩) والجاحظ (ت ٨٦٩) وأبو الفرج الإصفهاني (ت ٩٦٧)، وأولع بكتاب **المثل السائر** لابن الأثير (ت ١٢٣٣)، وحفظ من **شرح الحماسة**، وانصرف إلى أمهات الدواوين العربية، وطالع **يتيمة الدهر** للثعالبي (ت ١٠٣٨) و**العقد الفريد** لابن عبد ربه (ت ٩٤٠)، وحفظ **الألفاظ الكتابية** للهمداني (ت ٩٣٢) و**نجمة الرائد** لليازجي (ت ١٩٠٦)[٣٤]، ومن هذه المحفوظات والقراءات ترسخ حبه للجملة القرآنية، وتغوره في اللغة، وأخذه ببعض الآراء النقدية القديمة. وتكون فكره في محيط التفكير الإسلامي[٣٥].

---

٣٣ **وحي...**، ج ٣، ص ٣٨.

٣٤ مصطفى الجوزو، **مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية**، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢٧٩، نقلا عن مصطفى نعمان البدري، **الإمام مصطفى صادق الرافعي**، بغداد، ١٩٦٨.

٣٥ إبراهيم عوضين، **مصطفى صادق الرافعي أديبا إسلاميا**، مصر، ١٩٩٠، ص٣٢-٣٣.

إن الرافعي اضافة إلى ذلك قد قرأ الكتب المنقولة عن الإنجليزية والفرنسية، مثل كتاب **حضارة العرب** لغوستاف لوبون (Gustave Le Bon) و**السلطة والحرية** لتولستوي (Tolstoy) وكتب أخرى حول الحضارة والتربية والفلسفة والأديان، كما قرأ عن بعض أدباء الغرب ومفكريه مثل أناتول فرانس (Anatolia France) شللر (Friedrich Schiller)، وبرغسون (Henri Bergson)، و برنارد شو (Bernard Show) [٣٦].

وقد ظل الرافعي على هذا الثبات على القراءة والاطلاع إلى آخر أيامه، وهو يقرأ كل يوم ثماني ساعات متواصلة، ويقول العريان في ذلك ما يلي:

> *"وكان إذا زاره زائر في مكتبه جلس قليلاً يحييه ويستمع لما يقوله، ثم لا يلبث أن يتناول كتابا مما بين يديه ويقول لمحدثه: "تعال نقرأ..." و"تعال نقرأ" هذه معناها أن يقرأ الرافعي ويستمع الضيف، فلا يكف عن القراءة حتى يرى في عيني محدثه معنى ليس منه أن يستمر في القراءة... وفي القهوة، وفي القطار، وفي الديوان، لا تجد الرافعي وحده إلا وفي يده كتاب."* [٣٧]

٥-حياته الأدبية

بدأ الرافعي حياته الأدبية عام ١٩٠٠ وكان اهتمامه في البداية منصرفا إلى الشعر وحده، ونشرشعره في الصحف وفي المجلات الشهيرة التي تصدر في مصر، مثل مجلة **الضياء والبيان والثرياء والزهراء والمقتطف وسركيس**

---

[٣٦] الجوزو، **المصدر السابق** ص ٣٣.

[٣٧] **حياة...**، ص ٣٢-٣٣.

والهلال، وغيرها من المجلات التي يقوم عليها كلها جماعة من أدباء سورية[٣٨]. ونال شعره الاستحسان والإعجاب في الأوساط الأدبية ولما يبلغ العشرين من عمره.

وتأثر الرافعي بكثير من شعراء عصره منهم محمود سامي البارودي (ت ١٩٠٤)، وحافظ إبراهيم (ت١٩٣٢) وأحمد شوقي (ت ١٩٣٢)، وخليل مطوان (ت ١٩٤٩)، والشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي (ت ١٩٣٥) وحظى بين هؤلاء الشعراء جميعا باحترام واعتراف أدبي[٣٩].

ونشر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٣ في الثالثة والعشرين من عمره بعد ديوان شاعر "النيل" حافظ إبراهيم بقليل، وقدم الرافعي لهذا الديوان بمقدمة وناقش فيها مفهوم الشعر، وفنونه، ومذاهبه، وأشاد بفضله البارودي.

ثم أصدر الجزء الثاني من ديوانه في سنة ١٩٠٤، وبرز اسمه من عشرات الأسماء من شعراء عصره، فلقب الرافعي بعد ذلك بشاعر الحسن" وقرظه البارودي ثانية، ورحب به زعماء الفكر والوطنية في مصر في ذلك الحين، فأرسل إليه محمد عبده (ت ١٩٠٥) برسالة تقدير يقول له فيها:

"أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفا يمحق به الباطل، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل." [٤٠]

---

[٣٨] **المصدر نفسه**، ص ٤٦.

[٣٩] **المصدر نفسه** والصفحة نفسها؛ **من وحى القلم**، ص ١٤.

[٤٠] **وحى...** ٩/١. يشير هنا محمد عبده إلى حسان بن ثابت الذي كان شاعر الإسلام في عهد الرسول، يدافع عنه بشعره ضد أعدائه من المشركين.

كما قال عنه زعيم الحزب الوطني مصطفى كامل:

"...سيأتي يوم إذا ذكر فيه الرافعي قال الناس: هو الحكمة العالية مصوغة في أجمل قالب من البيان." [٤١]

وفي سنة ١٩٠٦، أخرج الجزء الثالث من ديوانه، وبجانب هذا الديوان نشر ديوانا ثانيا بعنوان **النظرات** عام ١٩٠٨، كما نشر قصائد متفرقة في مجلتي **فتاة الشرق وأبولو**. وتمسك الرافعي في جميع أشعاره بالصياغة القديمة. وكان معظم شعره يدور حول عاطفة الحب، ونزوعه الإسلامي اتجه به إلى الدعوة الإسلامية، والدفاع عن القيم الإسلامية في قصائده.

وهو رائد الاتجاه الرومانسي في الشعر شارك في تأصيله مع أدباء آخرين معروفين كجبران خليل جبران (ت ١٩٣١)، ومصطفى لطفي المنفلوطي (ت ١٩٢٤) وغيرهم، كما شارك في تأصيل الشعر المنثور[٤٢].

ورغم أنه ينظم بالقوالب التقليدية فإنه كان يشعر في أعماقه أن فن الشعر العربي بشكله التقليدي المعروف ليس الفن الذي يستطيع من خلاله أن يطلق كل مواهبه المحبوسة في داخله، حين يقول:

إن في الشعر العربي قيودا لا تتيح له أن ينظم بالشعر كل ما يريد أن يعبر به عن نفسه الشاعرة." [٤٣]

---

[٤١] **حياة...**، ص ٥١.

[٤٢] **الرافعي، في فلسفة الجمال والحب (تقديم عبدالقادر القط)**، الجيزة ١٩٩٤، ص ٢.

[٤٣] **حياة...**، ص ٧٢.

وكذلك يقول في الرسالة التي أرسلها إلى صديقه محمود أبي ريـــة عـــام ١٩٢٨ عن سبب تحوله إلى النثر:

"ومن نكبة الشعر العربي أنه لا يتسع لبسط المعاني، فإذا بســـطت المعاني فيه وشرحت، سقطت مرتبته من الشعر وأصبح نظمـــا كنظـــم المتون في الأكثر، وهذا هو ما صرفني من الأول إلى الكتابـــة ووضـــع ***حديث القمر والمساكين*** *وغيرهما، فان هذه الكتب هى شعر ولكنه فـــي غير الظروف الموزونة."* [٤٤]

رغم ما أنجز الرافعي في الشعر من نجاح، ورغم أنه استطاع أن يلفـت الأنظار، فإنه في الواقع لم يكن يستطيع أن يتجاوز المكانة التـــي وصـــل إليـــها الشعراء الكبار في عصره، وخاصة شوقي وحافظ، فقد بذل هذان الشاعران كـــل جهودهما للشعر، وقد تميز شعر حافظ وشوقي بالسهولة والغزارة، مما أتاح لـــهما القدرة على الانتشار بين القراء حتى لو كان هؤلاء القراء متوسطين في ثقافتـــهم، فشعر الرافعي لم يكن شعرا سهلا، بل كان شعرا صعبا يحتاج إلى ثقافـــة أدبيـــة ولغوية عالية لكي يفهمه من يقرأه، ولكي يتذوقه بعد ذلك ويســـتمتع بـــه. وقـــد شعرالرافعي في نفسه بهذا الضعف الشعري الذي يمكن أن يؤدي به فـــي آخـــر الأمر إلى أن يكون شاعرا للخاصة وليس شاعرا جماهيريا واسع التـــأثير مثـــل شوقي وحافظ.[٤٥]

وبعد ذلك اتجه الرافعي إلى الكتابة النثرية، غير أنه لم تنقطـــع علاقتـــه بالشعر تماما، بل كان ينشد شعرا أحيانا، وعاد الرافعي إلى الشعر مرة ثانية فـــي

---

[٤٤] عبد السلام هاشم حافظ، **الرافعي ومي**، ص ٢٣، ب.ت.

[٤٥] **من وحى القلم**، (تقديم رجاء النقاش)، ص ١٤.

الفترة من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٠، ومدح الملك فؤاد في قصـــائده، فاختـــار الملك شاعرا له عام ١٩٢٦.[٤٦]

وفي خلال تلك الفترة التي تحول فيها الرافعي من الشعر إلـــى الكتابـــة، وراح الرافعي يتأمل الأوضاع الأدبية والاجتماعية حوله، وينظر بعمق وتفكير أن يقدمه غير الشعر، وكتب المؤلفات وقدم ألوانا مختلفة من فن المقالة على حســب ما يستدعيه الموضوع والموقف معا، وعالج شؤون اللغة والمجتمـــع والتـــاريخ الأدبي بفنونه والقضايا الدينية والحياتية.

وعندما أنشئت الجامعة المصرية وبعد مرور سنتين على إنشائها كتـــب الرافعي مقالا في **الجريدة** يحمل فيه على الجامعة، وعلى أساتذتها، وعلى منـــهج الأدب فيها، فكان من أثر ذلك أن أعلنت الجامعة عن مسابقة لتأليف كتـــاب فـــي "أدبيات اللغة العربية" وحددت لتأليفه سبعة أشهر، وأفردت له جائزة مائة جنيـــه، فحمل الرافعي على ذلك مرة ثانية في مقال آخر في **الجريدة** فأعـــادت الجامعـــة نشر المسابقة وزادت المدة إلى سنتين، والجائزة إلى مـــائتين، وتعـــهدت بطبـــع الكتاب الفائز.[٤٧]

وقد سبق جرجي زيدان فأصدر الجزء الأول من كتابه **تاريخ آداب اللغـة العربية** وتقدم به عام ١٩١١، ثم أصدر الرافعي الجزء الأول مـــن **تـــاريخ آداب العرب** بعد كتاب جرجي زيدان بنحو شهر أو شهرين[٤٨]، ثم أتبعه بجزأين، أحدهما في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وأصدره في طبعتـــه الثانيـــة باســـم **إعجـــاز القرآن**، ولفتت إليه أنظار الأدباء والقراء، ثم أخذ يصدر كتبه الأخرى.

---

٤٦ ، **حياة...**، ص ١٦٩.

٤٧ **المصدر نفسه**، ص ٦٥-٦٧

٤٨ **المصدر نفسه** والصفحة نفسها.

وكانت ثقافته خلقت عنده نظرية المزج بين الدين واللغة، فالعربية هي لغة القرآن الكريم ولغة الحضارة الإسلامية، في نطاق هذه الفكرة تكاملت شخصية الرافعي. وكان يعتقد أن أعداء العقيدة والمستعمرين يستهدفون النيل من لغة القرآن تمهيدا للنيل من القرآن نفسه، ويعبرعن اتجاهه في نفسه حين يقول:

"والقبلة التي اتجه إليها في الأدب إنما هى النفس الشرقية في دينها وفضائلها، فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ويزيد في حياتها وسمو غايتها، ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة، ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا، ثم إنه يخيل إلي دائما أني رسول لغوي بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه، فأنا دائما في موقف الجيش (تحت السلاح) له ما يعانيه وما يكلفه وما يحاوله ويفي به، وما يتحاماه ويتحفظ فيه، وتاريخ نصره وهزيمته في أعماله دون سواها." [٤٩]

٦- المعارك الأدبية بين الرافعي وبين معاصريه

إن بدايات القرن العشرين كانت ميدانا للصراع الأدبي بين الأدباء، وشهدت الأعوام التي عاش فيها الرافعي أعنف المعارك الأدبية[٥٠]، ولا يعرفون أدباء العربية من الخصومات الأدبية أكثر شهرة من الخصومة بين الرافعي وأدباء عصره، فالخصومة بين الرافعي من جهة وبين كل من طه حسين والعقاد

---

٤٩ **وحي...**، ج٣، ص ٢٥٧.

٥٠ لمعلومات مفصلة عن الموضوع راجع: **حياة...**، ١٥١-١٦٥، ١٧٥-١٨٩؛ محمد محمد حسين، **المصدر السابق**، ج ٢،ص١٩٠-٢٨٧؛ طه حسين، **حديث الأربعاء**، ط. الثانية، بيروت، ١٩٨٠، ج ٢، ص ٥٧١-٦١٦؛ الرافعي، **تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد**، ط. الثامنة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢١ وما بعدها.

وعبدالله عفيفي، وغيرهم من الأدباء من جهة ثانية هى خصومة مشـــهورة فـــي تاريخ الأدبي العربي.

إن أول نقد صدر من الرافعي من ضمن تلك الخصومـــات هـــو مقالـــه "شعراء العصر" الذي نشره في يناير من سنة ١٩٠٥ في مجلة **الثريا**، وقد عمـــد فيه إلى ترتيب الشعراء في طبقات، وكتب رأيه في كل شاعر، ووضع نفسه فـــي الطبقة الأولى مع الكاظمي والبارودي وحافظ إبراهيم، والطبقة الثانية إســـماعيل صبري (ت ١٩٢٣) وأحمد شوقي وخليل مطران وشكيب أرســـلان (ت ١٩٤٦) وغيرهم، أما شعراء الطبقة الثالثة فمنهم المنفلوطي وأحمـــد محـــرم.[٥١] ولكـــن الرافعي غير رأيه في هذا الترتيب فيما بعد.

وأسهم تكثف التيارات الغربية في البلاد العربية في دفـــع عجلـــة تلـــك المناقشات، إذ تصور بعض الكتاب والمفكرين الذين درسوا الآداب الأجنبية أنـــه على الأدب العربي أن ينتهج منهج الآداب الغربية في سبيل "عصرنة" الأدب.

ومن الأسباب من شأنها ترسيخ دعائم التجديد من ناحية وتقوية الصـــراع في مقاومة هذا التجديد من ناحية أخرى هو افتتاح الجامعة المصرية فـــي تلـــك الفترة، وقدوم بعض الأوربيين للقيام بالتدريس في الجامعة.[٥٢] وكان يعتقد الرافعي أن الدعوة للتجديد في اللغة أو الأدب إنما تستهدف اللغة العربية نفسها، وحـــرب اللغة العربية عنده حرب للقرآن الكريم وللإسلام، ولذلك يصبح دفاع المدافعيـــن واجب ديني وفريضة على كل قادر على هذا الدفاع[٥٣].

---

[٥١] **حياة...**، ص ٥٣.

[٥٢] محمود، **المصدر السابق**، ص ١٥٣.

[٥٣] السطوحي، عبد الستار علي، **الجانب الاجتماعي في أدب المفكر الإســـلامي مصطفـــى صـــادق الرافعي**، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٨٢-١٨٣.

إن الرافعي أكثر حادة في معاركه التي ظهرت في عهده في مجال الدين واللغة، ولا غرابة في اندفاع الرافعي لمواجهة التيارات المعادية للإسلام والقومية العربية، فقد نشأ في أوساط دينية في الأسرة، إذ تولى أكثر رجال الأسرة القضاء الشرعي بمصر والشام. كما أسند إليهم الإفتاء فكانوا المرجع في شؤون الدينية والقضائية في نفس الوقت، مما يسر للرافعي بيئة دينية تسيطر على حياته الأدبية والفكرية. خصوصا في ظل مكتبة أبيه التي يسرت له قراءة كثير من كتب الفقه والأدب والتاريخ العربي والإسلامي.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن الرافعي كان يعاني من مرضه وآثاره التي خلفها به. فاتسم قلمه من الحادة، وكانت حدته تشتد إذا كان يعالج موضوعا أو قضية إسلامية.

ولم يكن الرافعي في هذه المعارك وحده، فقد كان معه من أمثال محمد فريد وجدي (ت ١٩٥٤)، ومحمد لطفي جمعة (ت ١٩٥٣)، وشكيب أرسلان (ت ١٩٤٦)، بيد أن الرافعي كان أبلغهم أثرا وأعلاهم صوتا. وكان الرافعي قاسيا حين يتعرض لأحد معاصريه في رسائله لصديقه محمود أبي رية، وقد أشار أبو ريه إلى هذه القسوة بقوله:

"وقبل أن أصنع الكلام أذكر أمرا لا بد من الإشارة إليه، ذلك أن قد ينبعث من بعض هذه الرسائل دخان خفيف مما كان قد شجر بين الرافعي رحمه الله وبين بعض كتابنا المعاصرين. وقد نازعتني نفسي

بين تبديد هذا الدخان أو تركه ولكني آثرت تخفيفه بحذف بعض كلمات وعبارات اشتد فيها قلم الرافعي". [٥٤]

وأثمرت من مقالات وكتب، كخصومة الرافعي مع طه حسين حول القديم والجديد، في كتابه **تحت راية القرآن** ومعركته الحادة مع العقاد حول إعجاز القرآن في كتابه **على السفود.**

٧- أسلوبه

يعرف الرافعي كاتبا عربيا كبيرا صاحب فكر متميز، ويميل الرافعي في أسلوبه إلى الناحية البيانية، ويبين بوضوح مذهبه وفلسفته في فن الكتابة وأسلوبها في صدر الجزء الأول من **وحي القلم** بعنوان "البيان"، حيث يقول:

"لا وجود للمقالة البيانية إلا في المعاني التي اشتملت عليها يقيمها الكاتب على حدود ويديرها على طريقة، مصيبا بألفاظه مواقع الشعور، مثيرا بها مكامن الخيال، آخذا بوزن تاركا بوزن لتأخذ النفس كما يشاء وتترك." [٥٥]

ومن خصائص طريقة الرافعي أنها تستلهم المعجم القرآني والسني والتراثي بصفة عامة، حيث يتكئ كثيرا من الأماكن على عبارة أو لفظة من القرآن الكريم، أو على كلمة أو جملة من الحديث الشريف، أو على حكمة أو مثل

---

[٥٤] محمود أبو رية، **من رسائل الرافعي**، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٦.

[٥٥] **وحي...**، ج ١، ص ١٥.

T.C. YÜKSEKÖĞRETİM KURULU
DOKÜMANTASYON MERKEZİ

أو بيت شعر من مأثورات العرب. ومما يكمل صورة طريقة الرافعي أنها تجنح إلى استخدام بعض البديع كالسجع والجناس والتورية والمقابلة[٥٦].

وقرأ الرافعي أكثر ما قرأ من أدباء العربية، هما الجاحظ والإصفهاني صاحب الأغاني، وكان يعجب بأدبهما إعجابا كثيرا. ويوجه صديقه أبا رية ليقرأ كتب المعاني قبل كتب الألفاظ، وليدرس كتب الاجتماع والفلسفة الأدبية في لغة أوربية أو فيما عرب منها، وينبهه بخاصة **لكليلة ودمنة والأغاني للإصفهاني ورسائل الجاحظ وكتاب الحيوان والبيان والتبيين والمثل الثائر.**[٥٧]

وتوجيه الرافعي هذا لأبي رية فيما ينبغي أن يحصل عليه الأديب من العلم والمعرفة يشرح لنا اتجاه الرافعي نفسه في الأدب والنقد على تقليد الأسلوب القديم.

وهو يهتم في كتاباته بجمال الصياغة وروعة الديباجة، لأن بيانه ليس ذلك البيان القريب التناول، البسيط العناصر، الهين الأداء، وإنما هو بيان فيه بعد وتركيب وجهد، حيث يجنح صاحبه إلى اعتصار المعاني، وتوليد الأفكار، ومزج الخواطر، من خلال مجازات مركبة واستعارات بعيدة وكنايات خفية.

كان أسلوب الرافعي في النثر قريب الشبه بأسلوب أبي تمام في الشعر، تزدحم فيه الاستعارات والمجازات والكنايات والتشبيهات، ولكن في جدة وطرافة وإبداعي في كثير الأحيان، وهذا كله يأتيها من جهة إعمال الفكر وتحكيم المهارة،

---

٥٦ أحمد هيكل، ، **تطور الأدب الحديث في مصر**، ط. الثالثة، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٣٨٨.

٥٧ أبو رية، **المصدر السابق**، ص ١٥، ٢٢، ٤٠.

مما يبعدها كثيرا عن المألوف، ويجنح بها إلى غير المتوقع، وقد يسبب ذلك بعض الغموض الذي يصل أحيانا إلى حد الالغاز[٥٨].

ولذلك اتهمه بعض الكتاب المصريين من معاصريه بالغموض في كتابته والتعمية في عباراته، مثل طه حسين الذي يصرح في نقده لكتاب **رسائل الأحزان** للرافعي، أنه لم يفهم كلام الرافعي ويتخذ ذلك دليلا على رداءة الكتاب مومئا إلى أثر المشقة والتكلف في تأليفه، وانفصال الرافعي عن العالم فيه، والغموض الدائم الذي يلف تعابيره[٥٩].

وعلى نحو قريب من هذا تزعم نعمات فؤاد أن الغموض والتعقيد صورة من نفس الرافعي، وأنه يتعمده في كثير من المواضع كلون من الاستعلاء[٦٠].

ويفسر أحمد حسن الزيات غموض الرافعي حين يقول:

"وهو قد يحمل الفكرة في ذهنه أياما يعاودها الساعة بالتقليب والتنقيب والملاحظة والتأمل حتى تتشعب في خياله، وتتكاثره في خاطره، ويكون هو لكثرة النظر والإجالة قد سما في فهمها على الذكاء المألوف، فتأتي غير بعض المواضع غامضة وهو يحسبها واضحة في نفسك وضوحا في نفسه." [٦١]

---

٥٨ أحمد هيكل، **المصدر السابق**، ص ٣٨٧-٣٨٨.

٥٩ طه حسين، **حديث الأربعاء**، ج٢، ص ٥٩٢-٥٩٣.

٦٠ نعمات أحمد فؤاد، **دراسة في أدب الرافعي**، القاهرة، ب.ت.، ط. الثانية، ص ١١٥.

٦١ محمد رجب البيومي، **مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن**، ص ١٠، نقلا عن **وحي الرسالة**، ج ١، ص ٤٤٤.

ويؤكد كمال نشأت أن بعض استطرادات الرافعي "قد وصل به إلى تداخل الصور وزحمتها، وكثرة المعاني المتتالية. فهو في بعض الأحيان، ينتقل من تشبيه إلى تشبيه بحيث يجره التداعي إلى الغموض في كثير من الأحيان، إذ أن انقطاع الصلة بين أول الحديث ووسطه وآخره، والانتقال حسب تداعي المعاني لايحدد موضوعا واحدا يدور حوله الكلام، إذ أن هذه الطريقة في الكتابة تجمع أشتاتا من الأفكار والصور دون رابطة أصيلة تربطها بعضا إلى بعض"[٦٢] إن هذه الألغاز هى ما يقابل في مصطلح الرمزيين بالخفايا أو الأسرار[٦٣].

والرافعي في أسلوب كتابته ومنهج تفكيره كما أسلفنا، يعلو على طاقة الفهم عند معظم الناس ويؤكد العريان تلميذ الرافعي وصديقه حين وصف أدب الرافعي:

"والرافعي عند طائفة من قراء العربية أديب عسر الهضم، وهو عند كثير من هذه الطائفة متكلف لا يصدر عن طبع، وعند بعضهم غامض معمى لا تخلص إليه النفس، ولكنه عند الكثرة من أهل الأدب وذوي الذوق البياني الخالص، أديب الأمة العربية المسلمة، يعبر بلسانها، وينطق عن ذات نفسها، فما يعيب عليه عائب إلا من نقص في وسائله، أو كدرة في طبعه، أو لأن بينه وبين طبيعة النفس العربية المسلمة التي ينطق الرافعي بلسانها-حجابا يباعد بينه وبين ما يقرأ روحا ومعنى".[٦٤]

---

[٦٢] الجوزو، **المصدر السابق**، ص ٣٠٤، نقلا عن كمال نشأت، **مصطفى صادق الرافعي**، ص ٩٢-٩٤.

[٦٣] Çetişli, İsmail, **Batı Edebiyatında Edebiyatında Edebi Akımlar**, Isparta, 1998, s. 101.

[٦٤] **وحي...**، (تصدير العريان) ج١، ص١٢.

وإلى جانب ذلك، ذكر العريان أن من يريد أن يقرأ ويفهم ما كتب الرافعي فعليه أن يعد وسائله ويكثر من النظر في كتبه وبمرور الوقت وبكثرة المعاشرة سوف لا يجد صعوبة في فهم ما كتب الرافعي.[٦٥]

ب- مؤلفاته

بدأ الرافعي حياته الأدبية شاعرا، ثم اتجه إلى كتابة المقالات الأدبية والفكرية والنقدية التي جمع الكثير منها في كتب ذات موضوعات محددة.

الدواوين

للرافعي ديوانان، هما:

١- **ديوان الرافعي:** صدره في ثلاثة أجزاء أولها في سنة ١٩٠٣ وهو في الثالثة والعشرين من عمره، وأتبعه الجزء الثاني سنة ١٩٠٤، فالجزء الثالث سنة ١٩٠٦، والديوان يحتوي أكثر الأغراض التقليدية: المديح، والوصف، والغزل، والنسيب، والحكمة، والرثاء. وشعر الرافعي في هذا الديوان واضح التأثر بأساليب القدماء ولاسيما المتنبي.

٢- **ديوان النظرات:** أنشأه بين سنتي ١٩٠٦-١٩٠٨، وفي مقدمته أوضح رأيه في حقيقة الشعر. وفي الديوان أناشيد وقصائد وطنية ووصف للطبيعة والذكريات.

---

٦٥ **المصدر نفسه** والصفحة نفسها.

T.C. YÜKSEKÖĞRETİM KURULU
DOKÜMANTASYON MERKEZİ

الكتب النثرية

وله في هذا الحقل مؤلفات كثيرة، منها:

١-تاريخ آداب العرب: في ثلاثة أجزاء[٦٦]، أصدر الجزء الأول عام ١٩١١، ويتحدث الجزء الأول في الأدب والمؤدبين وفي علوم الأدب ومصادره، ويتناول أصل العرب ومواطنهم، واللغة العربية وأصولها مقارنة باللغات السامية الأخرى، ويبحث في فصاحة القبائل العربية وبلاغتها، وينتهي إلى المدارس النحوية.[٦٧]

أما الجزء الثاني فقد أتمه الرافعي عام ١٩١٢، وأخرجه عام ١٩١٤، لكنه في العام ١٩٢٦ جعل اسمه "إعجاز القرآن" وأفرده عن المجموعة في موضوعه[٦٨]، وقد نشر الجزء الثالث بعد وفاة الرافعي عام ١٩٤٠، ويتناول الجزء الثالث الحياة الأدبية واللغوية والعلمية والثقافية ما بين القرن الخامس الهجري والتاسع عشر الميلادي، وفي بلاد العرب جميعا.[٦٩]

---

٦٦ لمعلومات مفصلة عن محتوى الكتاب راجع:

Erol Ayyıldız, "Mustafa Sadık er-Rafii`nin Arap Edebiyatı Tarihli Adlı Eserinin Tetkiki", *Uludağ Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi*, C.III, Sayi:3, Bursa 1991, s. 131-149.

٦٧ الشكعة، **المصدر السابق**، ص ٥٤-٥٥.

٦٨ **حياة...**، ص ٦٩-٧٠.

٦٩ الشكعة، **المصدر السابق**، ص ٥٦.

٢- **حديث القمر:** أصدره سنة ١٩١٢، بعد عودته من رحلته إلى لبنان، ولقى في أثنائها فتاة هناك، فكانت هى ملهمته هذا الحديث، الذي كان أول كتابته الفنية المصنوعة، تلفها الرمزية، وقد اختلفت الأقوال في التعريف بتلك الفتاة الملهمة، فمن قائل أنها "ماري زيادة"[٧٠]، ومن قائل أنها فتاة أخرى غير تلك، ويدعم رأيه بأن الرافعي نفسه ينسب إلهامه فيه وفي **رسائل الأحزان والسحاب الأحمر** إلى التي تعرفها في لبنان، وهو لم يعرف "ميا" إلا في وقت متأخر بعد الحفل التأبيني الذي أقيم لفرح أنطون المتوفى عام ١٩٢٢[٧١] وأن الكتاب مقطوعات من الشعر المنثور، ويعد نموذجا في تعليم الإنشاء[٧٢].

٣- **كتاب المساكين:** تم تأليف هذا الكتاب عام ١٩١٥، وأصدره في العام ١٩١٧. ويعرف به الرافعي في الصفحة الأولى منه فيقول: "هو كتاب أردت به بيان شيء من حكمة الله في شيء من أغلاط الناس..."[٧٣]، وللكتاب فصول شتى، مجموعة مقالات لا تربط بين أجزائه وحدة، سوى فكرة الألم الإنساني عن المرض والعشق والجوع[٧٤].

٤- **رسائل الأحزان** :أصدره سنة ١٩٢٤، والكتاب مجموعة من الرسائل أغلبها شعر منثور وبعضها قصائد منظومة، كتبها الرافعي إلى صديق

---

٧٠ كانت الأديبة اللبنانية المعروفة باسم "مي" قد اجتذبت إلى "صالونها الأدبي" -وهذا أول تجربة من نوعها-، في يوم معهود كل أسبوع عددا كبيرا من الأدباء والشعراء المشهورين مثل الرافعي، والعقاد، وصبري، ومطران، وجبران، ومنصور فهمي وطه حسين. وكان شيئا جديدا في المجتمع العربي حينذاك أن تستقبل إمرأة في بيتها أمثال هؤلاء الرجال، فتجلس إليهم وتحاورهم في أمور الأدب والفكر، وفتنوا جميعا بها، وخيل إلى كل واحد منهم أنها تحبه دون الآخرين. راجع: عبد السلام هاشم حافظ، **الرافعي ومي**، ص ٧٧.

٧١ أنظر الجوزو، **المصدر السابق**، ص ٦٢.

٧٢ **حياة...**، ص ٧٤.

٧٣ الرافعي، **كتاب المساكين**، ص ٧، تونس، ١٩٨٨.

٧٤ **حياة...**، ص ٧٩.

بعيد تخيله، وهو في الحقيقة يكتب إلى نفسه مستعيدا ذكريات بتجربته الأليمة[٧٥]. هذا هو الكتاب الثاني من مجموعة الكتب التي ألفها الرافعي في **فلسفة الحب والجمال** ، يشير الرافعي إلى أنه ما قصد بهذه الرسائل تاريخا ولا رواية، بل هى عواطف حب تتساوق معانيها على نسق الشعر والفكرة، فليس "الغرض منها حكاية نفسين بل صفة نفس صريحة لنفس معقدة"[٧٦]

وقد دار جدل طويل حول هذه الرسائل، أثبت الرافعي بعضه في كتابه **تحت راية القرآن** وأثبت طه حسين بعضه الآخر في كتابه **حديث الأربعاء**[٧٧].

٥- **السحاب الأحمر:** أصدر الرافعي كتابه في سنة ١٩٢٥. وهو الكتاب الثالث من مجموعة مؤلفاته في **فلسفة الحب والجمال**، وهو مجموعة من المقالات التأملية، والحوارية التي تقدم آراءه في الحب والبغض والعاطفة والنساء وبعض القضايا العامة المثارة في المجتمع مثل الاستغراب، وتحرير المرأة من قيود القيم الإسلامية، كما يقدم في بعض الشخصيات العامة والخاصة، وهو أشبه بكتاب المساكين[٧٨].

٦- **أوراق الورد:** بدأ الرافعي كتابته سنة ١٩٢٥ وأكمله بالعام ١٩٣١. هو الكتاب الرابع من الخواطر في **فلسفة الجمال والحب**، و تصوير شعر لتجربة عاطفية عاشها الرافعي مع الأديبة اللبنانية مي زيادة، والكتاب رسائل متخيلة تدور كل رسالة حول موضوع يختاره الكاتب أو تختاره له أحيانا صاحبة يفترض أن تكتب له ويكتب لها. وأغلب الظن أن الرافعي كان هو "المرسل والمرسل إليه"

---

٧٥ **في فلسفة الجمال والحب (تقديم عبدالقادر القط)**، ص ٤.

٧٦ الرافعي، **رسائل الأحزان**، ص ١٣٦.

٧٧ الجوزو، **المصدر السابق**، ص ٧٣.

٧٨ **المصدر نفسه**، ص ٧٤.

معا، وأنه ابتدع هذه الطريقة ليجد منطلقا للكتابة فيما يختار من موضوع عاطفي أو فكري[٧٩].

٧- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية:** هذا الكتاب هو الجزء الثاني من **تاريخ آداب العرب**، أتمه المؤلف عام ١٩١٢ وأصدره عام ١٩١٤ ثم بدا له سنة ١٩٢٦أن يبدل اسمه ويجعله كتابا مستقلا بعنوان **إعجاز القرآن**. يتناول الكتاب أمرين: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، فيعول في الأول على اللغة في وضعها ونسقها والغاية منها، وقصد الرافعي إلى كشف محاسن اللغة العربية وأسرارها من حيث التركيب، باعتبار أن القرآن معجزة اللغة العربية في بلاغة نظمه واتساق أوضاعه وأسراره. أما الأمر الثاني، وهو البلاغة النبوية، فقد احتل من الكتاب قسمه الأصغر وتناول البلاغة الإنسانية وفصاحة النبي وصفته وإحكام منطقه واجتماع كلامه وقلته ونفي الشعر عنه وتأثيره في اللغة.[٨٠]

٨- **تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد:** هو في الأصل مجموعة مقالات كانت تنشر في صحيفة **كوكب الشرق** وغيرها، وأصدره في سنة ١٩٢٦ عقب جمع طه حسين محاضراته التي كان يلقيها على طلاب الجامعة وإصدارها في كتاب تحت عنوان **في الشعر الجاهلي** الذي غير بعد ذلك إسمه إلى **في الأدب الجاهلي**، والكتاب يكاد يكون كله في الرد على طه حسين ومناقشته في كتابه **في الشعر الجاهلي** وفي سائر آرائه فيما يتعلق بالأدب العربي، والقرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي. والكتاب وثيقة هامة جدا في انتقاده الشديد لكتاب **في الشعر الجاهلي** فضلا عما يتضمنه من تاريخ المناقشات التي دارت حول هذا الشعر وحول القديم والجديد[٨١].

---

٧٩ **حياة...** ، ص ١٤١-١٤٢.

٨٠ الجوزو، **المصدر السابق** ، ص ٧٧.

٨١ **حياة...** ، ص ١٦٢-١٦٤.

وقد لاحظ العريان أن أسلوب الرافعي في هذا الكتاب يختلف في مقالاته الأولى عنه في مقالاته اللاحقة، فهو في البداية وقور حكيم رحب الصدر، ثم يتبدل الوقار تجهما وثورة وحنقا[٨٢].

٩- **على السفود:** هو مجموعة المقالات التي كتبها نقدا لشعر العقاد، وعبد الله عفيفي وغيرهما، ونشرتها مجلة **العصور** منذ منتصف سنة ١٩٢٩ بدون توقيع ثم جمعها إسماعيل مظهر صاحب المجلة ونشرها عام ١٩٣٠ ولم يذكر على غلافه اسم الرافعي، واكتفى بذكر وصفه، فقد كان في نقده عنيفا، بلغ في عنفه درجة كادت تخرج به من ميدان النقد إلى السب والقذف المؤسف.

وخصومة الرافعي مع العقاد قد بدأت على ما يذكر العريان، بعيد صدور الكتاب **إعجاز القرآن** سنة ١٩٢٦، إذ أبدى فيه العقاد رأيا أغضب الرافعي[٨٣].

١٠- **رسالة الحج:** أنشأه في صيف سنة ١٩٣٥، هو مجموعة الرسائل التي نحلها للسيد عامر[٨٤].

---

٨٢ **المصدر نفسه**، ص ١٦٣.

٨٣ **المصدر نفسه**، ص ١٩٠.

٨٤ **المصدر نفسه**، ص ٣٥١.

المخطوطات

١- **أسرار الإعجاز:** فيه فصول تامة التأليف، وفصول أخرى أجمل الرافعي أفكارها في كلمات وأشار إلى مصادرها، وفصول الكتاب هى:

ا- الفصل الأول صدر الكتاب، ويتناول البلاغة العربية.

ب- الفصل الثاني يتناول بلاغة القرآن وأسرار إعجازه.

ج- الفصل الأخير يتناول آيات من القرآن بالتفسير ليبين سر إعجازها في اللفظ والمعنى والفكرة العامة[٨٥].

٢- **كتاب فصح الكلام:** يحدث فيه عن فصاحة الكلام مما ورد في الكتب المختلفة[٨٦].

٣- **موعظة الشباب:** هى رواية التمثيلية يمتزج فيها الشعر والنثر، وقد نشر بعضها في الجزء الثالث من ديوانه[٨٧].

٤- **ملكة الإنشاء:** كتاب مدرسي يحتوي على نماذج أدبية من إنشائه[٨٨].

---

٨٥ **المصدر نفسه**، ص ٣٥٢.

٨٦ الجوزو، **المصدر السابق**، ص ١٠٨.

٨٧ **المصدر نفسه**، ص ١٠٩.

٨٨ **حياة...**، ص ٣٥٠.

دواوين لم تطبع

١- **أغاريد الرافعي:** وهو ديوان جمعه مصطفى البدري من شعر الرافعي ورتبه في ثلاث مجموعات[٨٩].

٢- **أغاني الشعب:** وهو ديوان يشمل كثيرا من الموشحات والمقطوعات التي وضع كلا منها لطائفة أو جماعة من الشعب[٩٠].

٣- **الفؤاديات:** وهي القصائد التي مدح بها الرافعي الملك فؤاد[٩١].

---

٨٩ الجوزو، **المصدر السابق**، ص ١١٢.

٩٠ **المصدر نفسه**، ص ١١٣.

٩١ **المصدر نفسه** والصفحة نفسها.

الفصل الثاني

وحي القلم

مضمون الكتاب

يتألف الكتاب من ١١٤٢ صفحة، وفيه مقالات شتى، وبحوث مختلفة كتبت بأسلوب بليغ. والكتاب في ثلاثة أجزاء، يقع الأول ٣٥٧ صفحة، والثاني ٣٧٢ صفحة، والثالث ٤١٣ صفحة. وتحتوي هذه الأجزاء على نحو من ١٦٠ فصلا.

والكتاب مجموعة مقالات نشرت في مجلة **الرسالة** في المدة بين عام ١٩٣٤ وعام ١٩٣٧، مضافا إليها بعض مقالات نشرت في مبتدأ حياته الأدبية، وطبع منه جزآن حينما كان على قيد الحياة وأن الجزء الثالث جمع من قصاصات تركها الرافعي بعد موته على مكتبه.[٩٢]

والكتاب يشتمل على مقالات وخواطر وقصص بعضها يتصل بالأدب وبعضها بالأخلاق وبعضها بالتاريخ الإسلامي وبعضها بمواقف وجدانية ذاتية وبعضها بالفلسفة الإسلامية. ولبعض القصص المتصلة بزمن الرافعي باعث أو

---

[٩٢] وحي...، ١٣/١.

T.C. YÜKSEKÖĞRETİM KURULU
DOKÜMANTASYON MERKEZİ

سبب يدفعه ليقول برأى، أو ينصح بفكرة. وقد عرض العريان في كتابه **حياة الرافعي** لكثير من ذلك.[٩٣]

ويصف العريان **وحي القلم** حين يقول:

"إنه يجمع كل خصائصه العقلية والنفسية متميزة بوضوح في موضوعه ففيه خلقه ودينه، وفيه شبابه وعاطفته، وفيه تزمته ووقاره، وفيه فكاهته ومرحه، وفيه غضبه وسخطه." [٩٤]

لقد فصلنا مقالات الرافعي إلى مجموعات أربع، منها المقالات الاجتماعية والمقالات الأدبية والمقالات السياسية والمقالات الدينية.

مقالاته الاجتماعية

عالج الرافعي في كثير من مقالاته قضايا اجتماعية متعددة، وكانت تتوافد عليه كثير من الرسائل يستفتيه أصحابها الرأى، ويطلبون منه النصيحة فيما يصعب عليهم من مشكلات، وما يطرأ عليهم من أحداث.

وكانت مبادىء الدين الإسلامي الأساس الذي اعتمد عليه في علاج الأحداث والمشكلات. والآن نتناول أبرز الملامح الأساسية لآراء الرافعي في بعض المشاكل التي عالجها في مقالاته.

---

٩٣ أنظر: **حياة**، ص ٢٢٩-٢٥٠.

٩٤ **وحي...**، ١٣/١

١- مشكلة الفقر

لقد عاش الرافعي ظروف الحرب العالمية الأولى ورأى نتائجها على المجتمع المصري وما خلفته هذه الحرب من آثار. والرافعي شعر بما يعاني منه الناس من ألم ومضايقة، فساءت الأخلاق وانتشرت الكوارث التي يولدها الفقر وما أكثرها، رأى الرافعي مشكلة الفقر وعالجها في دراسة موجزة فأفردها كتابا بعنوانه **المساكين**، وكتب الرافعي في نفس الموضوع مقالات، وقارن فيها بين الفقر والغنى والفقير والغني، ويحاول الرافعي أن يربط بين الفقر وتحول الجسم وحب الحركة والسعي الدائب على الرزق، والقدرة على متاعب الحياة ومشقات الحصول على الرزق.[٩٥]

ويربط الرافعي بين الغني والسمن وثقل الحركة وقعود الهمة والكسل والعجز عن أقل متاعب الحياة، وهكذا يرى الرافعي أن الغنى والسمن قد تؤدي إلى سقوط الهمة وضعف الإرادة[٩٦].

ويناقش الرافعي قضية الغنى والفقر من زاوية مختلفة، حيث يعرض للمشكلة من ناحية إيمان المؤمن بقضاء الله وقدره فما ينبغي أن يثق الإنسان في المستقبل ثقة الغافل، فيؤكد أن الجاه والنعمة والغنى لن تدوم لصاحبها ولن تبقى له إلا إلى حين، وأن هذا الحين قد يأتي بين عشية وضحاها، وعندئذ يجد الغني

---

[٩٥] **المصدر نفسه**، ١/٥٠.

[٩٦] **المصدر نفسه**، ١/٥٦-٥٧.

نفسه فقيرا يسأل الناس، والرافعي بهذا يوميء إلى معنى أخلاقي وهو أن يكـــون الغني ذا قلب رحيم وسخي، لأن الدين أوجب ذلك على كل غني[٩٧].

٢- الفروق الاجتماعية

ويعالج الرافعي مشكلة عاش فيها المجتمع المصري وعانى منها النـــاس وهى مشكلة تقسيم الناس إلى أصحاب الألقاب مثل **باشـــا، بـــك، أفنـــدي** وإلـــى محرومين من هذه الألقاب، ويعتبرها تفرقة تصنعها غفلة الناس عن حقائق الحيـاة ومعانيها الإنسانية الكبيرة التي جاء بها الإسلام، فليس الفرق الحقيقي بين إنســـان وإنسان وإنما هو العمل الصالح الذي يرفع قدره عند الله وعند الناس. فيقول:

"إن كلمة "باشا" وأمثالها إنما تخلفت عن ذلـــك المذهـــب القديـــم: مذهب الألوهية الكاذبة التي انتحلها فرعون وأمثاله، ليتعبدوا الناس منـــها بألفاظ قلوبهم المؤمنة؛ فإذا قيل "إله" كان جواب القلـــب: "عـــز وجـــل"، "سبحانه"....[٩٨]

ولما ارتقى الناس عن عبادة الناس، تلطفت تلك الألوهيـــة ونزلـــت إلـــى درجات إنسانية، لتتعبد الناس بألفاظ عقولهم الساذجة؛ فإن قيل "باشا" كان جـــواب العقل الصغير: "سعادتلو أفندم!".

---

[٩٧] **المصدر نفسه، ١/٨٧-٨٨.**

[٩٨] **المصدر نفسه، ١/٩٣.**

٣- القبعة

ويعد الرافعي القبعة من رذائل الحضارة الأوربية، ومعنى القبعة عنده هى طريقة لتربية الرأس المسلم تربية جديدة.

وندد بالذين يدعون إلى التقبع في مصر احتذاء لتركيا، ويدعي أن هذه القبعة في تركيا أنها كلمة سب للعرب ورد على الإسلام، ويرى أن القبعة على رأس المسلم المصري تهتك أخلاقي أو سياسي أو ديني[٩٩].

٤- مشاكل المرأة المسلمة

شهدت مصر إلى المنازعات العنيفة بين الكتاب والمفكرين حول قضية المرأة كتعليمها وتحريرها في زمن الرافعي.

كانت الدعوة إلى تحرير المرأة ابتدأت مع الاتصال بالحضارة الغربية، إن أول الداعين إلى تلك الدعوة هم الذين تلقوا علومهم وثقافتهم في أوربا، ثم عادوا إلى بلادهم بأفكار غربية وعادوا كذلك وقد امتلأت نفوسهم إعجابا بمظاهر الحيلة الاجتماعية في أوربا.

كان أول من أشار إلى هذه القضية رفاعة رافع الطهطاوي (ت١٨٧٣) الذي ابتعثته الحكومة المصرية إماما وواعظا لبعثة من الشباب الموفدين إلى

---

٩٩ المصدر نفسه، ٣٠١/٢.

أوربا لتلقي العلوم، فدرس في فرنسا الجغرافيا والتاريخ وتعلم الفرنسية وترجم عنها بعض الكتب[١٠٠].

وكان الطهطاوي من أوائل من نادوا بتعليم البنات وتثقيفهن وله في ذلك كتاب هو: **المرشد الأمين في تربية البنات والبنين**، اتخذ أساسا للتعليم في مدارس البنات[١٠١].

وكذلك نادى قاسم أمين[١٠٢] (ت ١٩٠٨) بتعليم البنت أو المرأة، ودعا إلى تحريرها، وهذه الدعوة أثارت ضجة كبيرة، واستطاع أن يجعل مجالا للجدل والخصام بين الكتاب والمفكرين، وألف كتابيه المشهورين: **تحرير المرأة والمرأة الجديدة**.

---

[١٠٠] جرجي زيدان، **تراجم مشاهر الشرق في القرن التاسع عشر**، ج ٢، ص ٣٠، بيروت، ب.ت.

[١٠١] **المصدر نفسه**، ج٢، ص٣٣.

[١٠٢] إن بعض الكتاب المحافظين بما فيهم الرافعي حسبوا قاسم أمين في كتابي **تحرير المرأة والمرأة الجديدة** داعية للتحلل والتبرج، ومحمد محمد حسين وهو أعنف المحافظين هجوما على دعاة التغريب يقول في الجزء الثاني من كتاب **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر** عن قاسم أمين:

"...ولكن الناس قد خطوا إلى أبعد مما نادى به قاسم أمين. فقد كان الرجل صريحا في أنه يريد أن يقف بالحجاب عندما أمر الله به، وأنه يدعو إلى أن لا يجور الناس بتجاوز حدود الله، وستر ما لم ينزل الدين بأنه عورة؛ وبحرمان المرأة من العلم وقصرها في البيوت. ولم يدع قاسم أمين قط إلى اختلاط المرأة بالرجال ومراقصاتهم، ولم يدع قط إلى أن تتجاوز كشف النقاب إلى الكشف عن الأذرع والسوق، والصدور والظهور... ولكن قاسم أمين، وإن لم يدع إلى شيء من ذلك، هو الذي فتح الباب لمثل هذه الدعوات، وهو الذي خطا الخطوة الأولى في طريق كان لا بد أن يسير الناس فيه من بعده خطوات." (**الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، ج ٢ ، ص ٢٤٨-٢٤٩.)

T.C. YÜKSEKÖĞRETİM KURULU
DOKÜMANTASYON MERKEZİ

ولقد اشتد تحرير المرأة المصرية عقب ثورة مصطفى كمال أتاتورك في تركيا، وقد أثر هذه الحركة في بعض المصريين، فكان لذلك صدى لديهم في مصر والشرق العربي، فأخذوا يعدون اتجاه أتاتورك رمز التقدم والرقي.[١٠٣]

وقد أفردت جريدة **السياسة الأسبوعية** مقالا كبيرا تحت عنوان **فتاة تركيا** نقل محمد محمد حسين جزءا منه في كتابه[١٠٤].

وهذه المقالات والأخبار التي أخذت تنتشر على مدى أوسع في الصحف المصرية، وانتشرت التبرج، وتبارت المجلات بعرض الصور المغرية في صفحاتها، وانتشرت دور السينما، ثم ما نشرته صفحات الحوادث من مآسي الاجتماعية، كل ذلك مما دفع إلى الكتابة عن المرأة والحجاب والتبرج والسفور[١٠٥].

وللرافعي آراء اجتماعية متفرقة في المرأة، ومأخوذة من الفكر الإسلامي ويبدو توسيعا له، ودفاعا عنه، وتناول الرافعي للمرأة في مقالاته بأسلوب الواعظ المتدين الذي يتكلم على المرأة كعنصر من عناصر المجتمع.

والرافعي ينتقد على أصحاب دعوات تحرير المرأة ويلوم المدرسة على أنها لم تستطع أن تقدم لها في مناهجها ما ينفعها في دينها ودنياها، ويتهم المدرسة

---

[١٠٣] محمد رجب البيومي، **مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن**، دمشق، ١٩٩٧، ص ١٧٣.

[١٠٤] محمد محمد حسين، **المصدر السابق**، ج ٢، ص ٢٥٥.

[١٠٥] البيومي، **المصدر السابق**، ص ١٧٦.

بأنها قاصرة لم تعط الفتاة إلا ربع العلم، أما الثلاثة الأرباع الباقية فقد تركتها المدرسة لتأخذها الفتاة من الروايات والسينما[١٠٦].

وينتقد حرية المرأة ودخولها المدارس وذهابها إلى السينما، ويؤكد أن البنات ينسين ما يتعلمن في المدرسة، والرافعي يرى أن المرأة قد انصرفت بهذه الحرية عن وظيفتها الطبيعية وهى الأمومة، ويزعم أن حرية المرأة وعلمها يضعان لها عراقيل، وأن الرجل كان يحتال على المرأة الجاهلة فصارت المرأة المتعلمة تحتال على الرجل، وإن أطلقت للمرأة حرية الحب وحرية الزواج، هذه مما أدى إلى الفساد والاختلال، ولما صار الزواج حرا جاءت الفتاة بشبه الزواج لا بالزواج إذ ضعفت منزلته وضعف أثره في نفس المرأة، وقل الأزواج وضعف الشرف فكثر الطلاق[١٠٧].

ويدافع الرافعي عن التقاليد، ويشبه المرأة بدون التقاليد ببلاد جميلة بدون جيش وكنز بدون حراس[١٠٨].

ويعلل الرافعي سبب اعتبار الإسلام للمرأة نصف رجل "بأن تمام شرفها الاجتماعي أن يكون الرجل مضموما إليها في نظام الاجتماع وقوانينه، فالزواج على هذا هو تمام رشد الفتاة بالغة ما بلغت."[١٠٩]

والرافعي يضع فكرة غريبة هى: "أساس المرأة في الطبيعة أساس بدني لا عقلي ومن هذا كانت هى مصنع الحياة، وكانت ناقصة لا تتم إلا بالآخر،

---

[١٠٦] **وحي...**، ١٦٢/١.

[١٠٧] **المصدر نفسه**، ١٦٣/١.

[١٠٨] **المصدر نفسه**، ١٦٤/١.

[١٠٩] **المصدر نفسه** والصفحة نفسها.

والرجل الذي أساسه في الطبيعة شأن عقله وشأن قوته."[١١٠] هذه الفكرة تكرار لبعض الآراء العربية القديمة التي كانت تقول بأن المرأة وعاء للولادة، ولبعض الآراء الشرقية القديمة التي تحتقر المرأة.

ويرى الرافعي: "إن إحساس المرأة بالعالم وما فيه من حقائق الجمال والسرور إنما هو في إحساسها بالرجل الذي اختارته لقلبها، أو تهم أن تختاره، أو تود أن تختاره، ثم إحساسها بعد ذلك بالصور الأخرى من رجلها في أولادها" وحياة المرأة بلا أسرار خلافا لحياة الرجل، إذ تتبين المرأة دائما أن هذا الجسم الآخر هو فلسفة لجسمها وعقلها.[١١١]

والرافعي ينسب إلى تعليم المرأة جميع ما يعده من المنكرات: كشف الحجاب عن الوجه، وكشف الحياء، ومواجهة حقائق الجنس الآخر، والعفو عن خطأ المرأة الجنسي، والمساواة بينها وبين الرجل، وعري النساء والرجال أمام الشمس، فكأن العلم إفساد للمرأة، وكأنه تعليم معراتها ونقائصها، لا تعليم فضائلها ومحاسنها.[١١٢]

ويضع شروطا لتعليم المرأة هو أن يقر هيبة الأب وطاعة الأخ وسيادة الزوج والزواجر الدينية والاجتماعية، فحينئذ تصبح النساء في كل أمة مصانع علمية للفضيلة والكمال والإنسانية. أما بدون هذا الشرط، "فالمرأة الفلاحة في حجرها طفل قذر، هى خير للأمة من أكبر أديبة تخرج ذرية من الكتب."[١١٣]

---

[١١٠] **المصدر نفسه**، ١٦٤/١.

[١١١] **المصدر نفسه**، ١٦٥/١.

[١١٢] **المصدر نفسه**، ١٦٩/١.

[١١٣] **المصدر نفسه** والصفحة نفسها.

ولا يجتنب الرافعي من تشبيه المرأة بالحيوان إذ يشير إلـــى أن غريـــزة الوحش هى إيمانه بمن خلقه وحشا، وغريزة الشرف في الأنثى حقيقة إيمانها بمن خلقها أنثى، وشرف المرأة رأس مال للمرأة[١١٤].

وأما الحجاب عند الرافعي فهو الأنسب للمرأة والأكثر ملاءمة لطبيعتـــها، ,ان السفور والبهرجة خروج بها عن تلك الطبيعة، وطبيعة المرأة سلبية في ذاتها، لا يشدها ولا يقيمها إلا الصفات السلبية وملاكها الصبر، وجمالها الحياء والعفـــة، ورمزها وحارسها هو الحجاب وحده[١١٥]، ويرى أن الحجاب حاجز بين طبيعتـــي السالب والموجب في الإنسان، إلا فيما أحل بطريق الـــزواج المشـــروع، وأنـــه طهارة القلب للمرأة والرجل من دسيسة الشيطان بينهما، وأنه لا يبيح الخلوة التـــي تؤدي إلى مفسدة[١١٦]. ويقول الرافعي عن الحجاب:

"وما الحجاب إلا حفظ روحانية المـــرأة، وإغـــلاء ســـعرها فـــي الاجتماع، وصونها من التبذل الممقوت، لضبطها في حدود كحدود الربح من هذا القانون الصارم: قانون العرض والطلب، والارتفاع بها أن تكون سلعة بائرة ينادي عليها في مدارج الأسواق: العيون الكحيلـــة، الخـــدود الوردية، الشفاه الياقوتية، الثغور اللؤلؤية، الطرق والأسواق: الأعطـــاف المرتجة، النهود... أوليس فتياتنا قد انتهين من الكساد بعد نبذ الحجـــاب إلى هذه الغاية، وأصبحن إن لم ينادين على أنفسهن بمثل هذا؟[١١٧]"

---

[١١٤] **المصدر نفسه**، ١/١٧١.

[١١٥] **المصدر نفسه**، ١/١٩٦-١٩٧.

[١١٦] **المصدر نفسه**، ١/١٩٦.

[١١٧] **المصدر نفسه**، ١/١٩٥.

وحض الرافعي الشباب على الزواج القائم على التكافؤ، وندد بانصرافهم عنه، ومن أجل ذلك دعا إلى محاربة العزوبة، ومحاربة المغالاة في المهور، ويتوسل في ذلك بالحديث المباشر، وبالحوار القصصي المعتمد على الأحداث التاريخية والواقعية، فالزواج المتكافئ لا يقوم على إغراء المال، ولا على إشباع الشهوة، والزواج ليس تجارة يقوم على المساومة، والطمع، والمغالاة في المهور لا تعني الارتفاع بقدر المرأة أو تكريمها، إذ أن المرأة في تقدير الإسلام ليست بضاعة، والمهر ليس ثمنا أو أجرا[١١٨].

ويرى الرافعي أن من أبرز نتائج هذه القضية وأسوئها عزوف الشباب عن الزواج، مع اختلاط الشبان بالنساء الأمر الذي أدى إلى تخنث الشبان وتحلل طباع الغيرة فيهم، وإفساد اعتقادهم واحترامهم، فأقبلوا بالجسم على المرأة وأعرضوا عنها بالقلب وأخذوها بمعنى الأنوثة وتركوها بمعنى الأمومة، ومن هذا قل طلاب الزواج. فيناقش هذه النتائج وغيرها ويردها جميعا إلى ضعف التربية الدينية في الجنسين، وبخاصة بين الشبان، ويردها كذلك إلى ضعف التربية الاجتماعية، ويسمى العازفين عن الزواج من الشبان أرامل الحكومة. وأعظم أسباب السقوط عند الرافعي:

"هو ضعف التربية الدينية في الجنسين، وخاصة الشبان، ظنا من الناس أن الدين زائد على الحياة، مع أنه هو لا غيره نظام هذه الحياة وقوامها في كل ما يتصل منها بالنفس. وليست المدنية الصحيحة -كما يحسب المفتونون- هى نوع المعيشة للحياة ومادتها، بل نوع العقيدة بالحياة ومعانيها... ويقابل ضعف التربية الدينية مظهر آخر هو سبب من أكبر أسباب السقوط، وهو ضعف التربية الاجتماعية في المدرسة؛ وإلى

---

[١١٨] **المصدر نفسه**، ١/١١٣-١٢٣.

هذا الضعف يرجع سبب آخر هو تخنث الطباع واسترسالها إلـــى الدعـــة والراحة." [١١٩]

٥- آراؤه في اللغة والدين

منذ بداية هذا العصر يظهر تيارات متعددة تنادي بـــالتجديد فـــي عقليـــة الشعب ولغته وعاداته وتقاليده ومعتقداته مما أدى إلى مناقشات ونزاعات فكريـــة حادة بين من يؤدي هذا التجديد ومن يعارضها. وكان الرافعي يأتي في صـــدارة المعارضين لهؤلاء الذين ينادون بهذا النوع من النزعة التجديدية وفي رأسهم طـــه حسين وسلامة موسى وأحمد لطفي السيد ومحمد حسين هيكل وغيرهم.

وقد ظهرت هذه الدعوات في حياة الرافعي وشملت التنكر للدين وللغـــة وللعادات، وكانت هذه الدعوات نفسها سببا في معارك تاريخية أدبية دينية كـــبرى مثل مناقشات حول الشعر الجاهلي التي تمخضت عن كتاب **تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد** للرافعي، وغيره من كتب الذين أســـهموا فـــي تلـــك المناقشات.

---

[١١٩] **المصدر نفسه، ١/٢١٢-٢١٣.**

أ- اللغة

مزج الرافعي بين اللغة والإسلام، لأنه يؤمن بأن الإسلام هـــو القــرآن الكريم، والحديث النبوي. والقرآن الكريم والحديث النبوي لا يقومان بغير اللغـــة العربية، فلا يمكن الفصل بين الإسلام واللغة العربية، ومن يعتـــد علـــى اللغـــة العربية يعتد في الحقيقة على الإسلام.

وقد وضع هذا الاتجاه حين واجهته دعوات المستعمرين الأوربيين إلـــى نبذ اللغة العربية، وسعيهم إلى تقريب اللسان بحجة أن العربية تعوق العرب عـــن متابعة الحضارة والتقدم لضيقها عن تلبية متطلباتها، وسعيهم إلى غير ذلك مـــن الحجج التي حاولوا التذرع بها للتخلص من العربية، باستبدال العاميـــة بـــها، أو كتابتها بالحروف اللاتينية.

ولمس الرافعي ما وراء هذه المزاعم من كيد وتآمر، يقصد بـــه فصـــل الأمة عن أصولها وتذويبها في الكيان الأوربي، وأنه يرى اللغـــة العربيـــة لغـــة الحضارة الشاملة التي سادت العالم كله في شتى ميادين العلـــم والفكـــر والفـــن، واعتمدت عليها أوربا في نهضتها المعاصرة، فقد تلقفـــت أوربـــا أدب العـــرب وفكرهم وعلومهم منذ القرن الرابع عشر ودرسوها لطلابـــهم، فترجموهـــا إلـــى اللاتينية، ثم هم اليوم يزعمون أنها تضيق بأسباب التقدم والتحضر، وهذه المزاعم قادته في بعض الأحيان إلى العنف.

ويمكن إجمال مظاهر حرصه على اللغة العربية، ودفاعـــه عنـــها فـــي اتجاهين:

كان في الأول الأديب المتمسك بلغته، والمعتز به، والملتزم بقوانينها في شعره وكتاباته. ورأى أن الاعتداء على اللغة العربية والسعى إلى انتقاصها، هو اعتداء على الإسلام وسعي إلى الانتقاص منه، ومحاولة لعزله عن أهله وعزل أهله عنه. وهو يرى أن العربية لغة القرآن الكريم، وأن التهجم عليها إنما هو التهجم على الإسلام بطريق خفي.

ولذلك حرص الرافعي على أن يسقط مزاعم هؤلاء المتهجمين على اللغة العربية، ويبين أنها ليست لغة ميتة، ولا ضعيفة ولا ضيقة.

ويكشف الرافعي هوية هؤلاء الداعين إلى إهمال اللغة العربية ويبين مقاصدهم في مثل مقالة **اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال**[١٢٠]، فيتحدث عن اللغة عامة ومكانها من الأمة.

واللغة عند الرافعي هى أفكار الأمة ومعانيها وحقائق نفوسها، فهى قومية الفكر، تتحد بها الأمة في صور التفكير، والدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في أهلها، ودليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير والبحث، وكثرة مشتقات اللغة دليل على اتجاه الحرية وحرصها عليها، فإن روح الاستعباد ضيق لا يتسع. وإذا أهمل الشعب لغته وتركها للطبيعة السوقية، وإصغار أمرها، فيكون هذا الشعب خادما للأجانب، تابعا لا متبوعا لهم، ولا يقدر على أن يحمل عظمة ميراثه، ويجتزء ببعض حقه، ويلتف بضرورات العيش.[١٢١]

---

[١٢٠] **المصدر نفسه، ٣/٣٢.**

[١٢١] **المصدر نفسه، ٣/٣٣.**

وينتقل الرافعي من ذلك إلى الحديث عن موقف المستعمرين من لغة الأمة التي يسعون إلى استعمارها، والهدف الأول للمستعمرين كانت لغة الأمة، ويعتقد الرافعي أن قتل اللغة أو استبدالها، يقتل روح الشعوب ويحطم معنوياتها فتصبح البلاد لقمة سائغة للمستعمرين، إذا انقطع من لغة الأمة انقطع من ماضيها، ورجعت قوميتها صورة محفوظة في التاريخ، لهذا يجبر الأجنبي المستعمر لغته على الأمة المستعمرة ويشعرهم عظمته فيها، ويحكم عليهم أحكاما ثلاثة: أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا، وأما الثاني فقطع العلاقة بماضيهم ونسيانا، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال.[١٢٢]

وإذا ضعفت العصبية يخجلون من قوميتهم، وينسلخون من تاريخهم، وتقوم الكراهة للغتهم وآداب لغتهم. ويربط الرافعي بين ذل اللغة وذل الأمة، إذا قويت اللغة قويت الأمة، وإذا ذلت اللغة ذلت الأمة بل إن العكس أيضا صحيح بمعنى أنه إذا عزت الأمة عزت لغتها وانتشرت، إذا ذلت الأمة ذلت لغتها وانحسرت[١٢٣].

ويرسم الرافعي صورة لأولئك الذين يتخلون عن لغتهم، فيشخص فيها الذل والتبعية والاستحذاء، إن لم تكن عصبيتهم للغتهم قوية محكمة من ناحية الدين أو القومية، فهم يخجلون من قوميتهم وضعفت فيهم هذه العصبية، ويستهون بآداب لغتهم، وينسلخون من تاريخهم، ويغتربون لأنفسهم يوما فيوما، ويقول الرافعي في المقالة نفسها:

---

[١٢٢] **المصدر نفسه**، ٣/٣٣-٣٤.

[١٢٣] **المصدر نفسه**، ٣/٣٣.

"والشرق مبتلى بهذه العلة، ومنها جاءت مشاكله أو أكثرها؛ وليس في العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على لغة نفسها، وبهذا لا يعرفون للأشياء الأجنبية موضعا إلا من وراء حدود الأشياء الوطنية، ولو أخذنا نحن الشرقيين بهذا لكان هذا وحده علاجا حاسما لأكثر مشاكلنا." [١٢٤]

وعنده إذا قويت العصبية، وعزت اللغة، ولن تكون اللغات الأجنبية إلا خادمة، وتكون العصبية للغة القومية "مادة وعونا لكل ما هو قومي، فيصبح كل شيء أجنبي قد خضع لقوة قاهرة غالبة، هى قوة الإيمان بالمجد الوطني واستقلال الوطن، ومتى تعين الأول أنه الأول، فكل قوى الوجود لا تجعل الذي بعده شيئا إلا أنه الثاني."[١٢٥]

ب- الدين

وينتقل الرافعي إلى العنصر الثاني في مقومات استقلال الأمة، وهو الدين، فيتناوله من زاوية الوظيفة الاجتماعية والإنسانية في الحفاظ على الأمة.

وعنده أن الدين حقيقة اجتماعية، ويجعل القلوب كلها طبقة واحدة على اختلاف المظاهر الاجتماعية، فهو الضمير القانوني للشعب، ولا تثبت الأمة بغيره على فضائلها النفسية. ومن أجل ذلك "كان الدين من أقوى الوسائل التي

---

[١٢٤] **المصدر نفسه، ٣/٣٤.**

[١٢٥] **المصدر نفسه، ٣/٣٥.**

يعول عليها في إيقاظ ضمير الأمة، وتنبيه روحها، واهتياج خيالها؛ إذ فيه أعظم السلطة التي لها وحدها قوة الغلبة على الماديات."[١٢٦]

ويقف الرافعي طويلا مع علماء الأزهر يدعوهم إلى تطبيق أحكام الدين ويحثهم على البحث والقراءة والاجتهاد وتنقية التاريخ الفقهي وتهذيب الروح الإسلامي والسمو به عن الكلامية الجدلية واستخراج أسرار القرآن الكريم، كما يدعو لعلماء الأزهر أن يقوموا بأخص واجباتهم وهي بث الدعوة الإسلامية في أوربا وأمريكا واليابان بلغات الأوربيين والأمريكيين واليابانيين في ألسنة أزهرية مرهفة لها بيان الأدب ودقة العلم واحاطة الفلسفة وإلهام الشعر وبصيرة الحكمة.[١٢٧]

كما يدعوهم إلى احتقار الدنيا والزهد فيها وعدم التعلق الشديد بها، ويدعوهم كذلك إلى العمل بعملهم حتى يكونوا قدوة طيبة.

وكما يربط الرافعي بين ذل اللغة وذل الأمة، فهو يجري نفس الربط بين ضعف الدين في الأمة وفساد روابطها الاجتماعية، وإذا فسدت الروابط الاجتماعية في جسم الأمة ضعف كيانها وتحلل ويستعبدها . والدين رابطة مقدسة بين أبناء الأمة الواحدة، وهو الذي ينظم هندستها الاجتماعية ويخلق من كل فرد فيها إنسانا فاضلا، ومواطنا صالحا.[١٢٨]

---

[١٢٦] المصدر نفسه، ٣/٣٥.

[١٢٧] المصدر نفسه، ٣/٤٢.

[١٢٨] المصدر نفسه، ٣/٣٥.

مقالاته الأدبية

آراؤه في الأدب والفن

أ- الأدب والأديب

من المقالات التي عرف فيها الرافعي الأدب، هى مقالته بعنـــوان: الأدب والأديب، ويبسط آراءه أيضا حول الموضوع في سائر مقالاته.

والأدب عنده، صورة حياة الأديب ويجتمع مما تمزق من هذه الحياة فـــي سبحات من النور[١٢٩]، كما أنه صناعة جمال الفكر[١٣٠] ولا يتحقق إلا في الكتابـــة البيانية. [١٣١]

وغرض الأدب هو أن يخلق للنفس دنيا المعاني الملائمة لنزعة الإنســـان إلى المجهول وإلى المجاز، ويخيل في الأمور الواضحة أسرارا، ويبعث العاطفـــة في الكلام بما يجعل المؤلم لذيذا، ويكشف الجمال والحكمة بما يجعـــل الممـــول ممتعا حلوا[١٣٢]. وإذن فغرض الأدب إشباع النزعـــة إلـــى المجـــهول، والإيـــهام والمبالغة.

---

[١٢٩] المصدر نفسه، ٣/٢٢٤.

[١٣٠] المصدر نفسه، ٣/٢٢٩.

[١٣١] المصدر نفسه، ١/١٧.

[١٣٢] المصدر نفسه، ٣/٢١٢.

والأدب تصوير ثورة الروح الإنساني التي تتخذ بعدا فنيا وآخر أخلاقيا وثالثا فلسفيا.

ومن الناحية الأخلاقية ثمة أدبان: أدب الفضيلة وأدب الرذيلة، ولكن كليهما يعملان للفضيلة.

ومن حيث السياسي ثمة أدبان كذلك: أدب الشعب وأدب الحكام، فإذا كانت الدولة للشعب، كان الأدب أدب الشعب في حياته وأفكاره ومطامحه وألوان عيشه وكان كل ذلك زاخرا للأدب وافتتانه وتصويره للحياة الاجتماعية. وأما إذا كانت الدولة لغير الشعب كان الأدب أدب الحكام وبنى على النفاق والمداهنة والمبالغة الصناعية والكذب والتدليس مما يؤدي إلى النضوب والتكرار، لأن الأديب لايحس إلا أحوال نفسه ويضيق مجال أدبه،[١٣٣] مما يعني أن الرافعي يطلب الصدق في الأدب.

والأدب يمنح اللذة، لأنه ينقل الإنسان من حياته الرتيبة إلى حياة أخرى، فيها شعورها ولذتها وتكتمل فيها أشواق النفس، لأن لذاتها وآلامها تأتي بغير ضرورات ولا تكاليف[١٣٤]. وهذه اللذة هى علامة الحياة في الأدب،[١٣٥] واللذة في الأدب تأتي في رأي الرافعي من جمال أسلوبه وبلاغة معانيه وتناوله الكون والحياة بالأساليب الشعرية[١٣٦].

---

[١٣٣] المصدر نفسه، ٢١٩/٣.

[١٣٤] المصدر نفسه، ٢١٢/٣.

[١٣٥] المصدر نفسه، ٢١٨/٣.

[١٣٦] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

T.C. YÜKSEKÖĞRETİM KURULU
DOKÜMANTASYON MERKEZİ

إن الدين من أقوى المؤثرات في أدب الرافعي وفكره، حيث أنه اتخذ القرآن مثالا أعلى للأدب، قد يكون من أسباب مثاليته أن يمنحه الأدب معنى إلهيا سماويا، فالأدب يتأله لأن الأدب عنده "خالق الجمال في الذهن، والممكن للأسباب المعينة على إدراكه وتبين صفاته ومعانيه، وهو الذي يقدر لهذا العالم قيمته الإنسانية بإضافة الصور الفكرية الجميلة إليه، ومحاولته إظهار النظام المجهول في متناقضات النفس البشرية، والارتفاع بهذه النفس عن الواقع المنحط المجتمع من غشاوة الفطرة وصولة الغريزة وغرارة الطبع الحيواني."[١٣٧]

وهو يقارن بين الإله والأدب، ويصبح الأدب عنده شبيها بالدين من حيث أنه يعين الإنسانية على الاستمرار في عملها، ويعرض للحالات النفسية، لكن الدين يفعل ذلك ليأمر وينهى ويوجه الإنسان إلى ربه، "وذلك وحي الله إلى الملك إلى نبي مختار" والأدب يفعله ليوجه الإنسان إلى نفسه، "وهذا وحي الله إلى البصيرة إلى إنسان مختار".[١٣٨]

إن الأديب عند الرافعي إنسان شمولي يتوسل جمال الفن والصناعة والفلسفة، ويكشف عن أسرار النفس الإنسانية والطبيعة بأجزائهما[١٣٩]، وعليه تصحيح النفوس ونفي التزوير عنها، وتصحيح الفكرة الإنسانية في الوجود، ونفي الوثنية عنها والسمو بها، حتى يصلها بالمثل الأعلى.[١٤٠]

والأديب "إنسان يدله الجمال على نفسه ليدل غيره عليه، وبذلك زيد على معناه معنى، وأضيف إليه في إحساسه قوة إنشاء الإحساس في غيره، فأساس

---

[١٣٧] **المصدر نفسه**، ٣/٢١٥.

[١٣٨] **المصدر نفسه**، ٣/٢١٧.

[١٣٩] **المصدر نفسه**، ٣/٢١٤-٢١٥.

[١٤٠] **المصدر نفسه**، ٣/٢١٦.

عمله دائما أن يزيد على كل فكرة صورة لها، ويزيد على كل صورة فكرة فيها"[١٤١].

وثمة فئتان من الأدباء: أدباء الصناعة أو الجماعة، وأدباء قومهم وعصرهم، وكل واحد من الفئة الأولى لا يتجاوز حدا محدودا من الحياة، والآخر يبدو عملا جامعا مستمرا متفننا، "لأن عمله الأدبي هو وجوده، وكل شيء في قومه لا يبرح يقول له: اكتب"[١٤٢].

ورأى الرافعي في القرآن أعظم أدب اجتماعي، وفي النبي أعظم أديب وإنسان، "لأن فنه الأدبي أعظم فن يحقق للإنسانية حياة أخلاقها، وهو بكل ذلك أعظم إنسان"[١٤٣].

ب- الأدب والنبوة

يربط الرافعي بين النبوة والعبقرية فيرى "أن الملهم من أفذاذ العبقريين على هذه الأرض إنما يبلغ ما يبلغه ببعض، وفي بعض هذا أبدع ما ورثت الدنيا من فنون البيان، وكان في الدماغ مادة في موضع منه يميز بها من تختارهم السماء لحكمتها وإلهامها."[١٤٤] لفظ العبقري في تعبير الرافعي يختص بالأديب، وهو يجعل الأديب على صلة بالسماء، ولهذا قرر أن الأديب العبقري لا يرى بالتأمل بل يلهم رأيه إلهاما.

---

[١٤١] المصدر نفسه، ٣/٢١٤.

[١٤٢] المصدر نفسه، ٣/٢١٩.

[١٤٣] المصدر نفسه، ٣/١٥.

[١٤٤] المصدر نفسه، ٣/١٨.

ويتشابه الأدب مع النبوة، أو الأديب مع النبي في تصور الرافعي، وهو الاتصال بالأسرار، فتعريف النبوة، هو أنها "ليست شيئا غير الاتصال بالسر" بمصدر الطبيعة الأزلي [١٤٥] ومن شرط الأدب الاتصال بسر الحياة والكشف عنه أو الإيماء إليه.[١٤٦]

وعلم الأديب هو النفس الانسانية والطبيعة بأسرارها،[١٤٧] ويكلف الأديب تصحيح النفس الإنسانية، والفكر الإنساني والسمو به إلى فوق.[١٤٨]

والأديب والنبي يشتركان في هذا الأمر، وفي شيء آخر هو انتماؤهما إلى السماء، ولكن هناك فروق بين الأديب والنبي، فالبليغ من الناس يتصل بالطبيعة يستملي منها، أما النبي فيتصل بمصدر الأزلي ليملي فيها.[١٤٩]

وشيء آخر هو طريق الوحي، فالدين والأدب يتفقان في أن الله يتعامل فيهما مع المختارين: الأنبياء والأدباء، لكنهما يختلفان في أن الدين وحي يمر عبر ملك إلى النبي المختار، بينما الأدب وحي الله يمر عبر البصيرة إلى إنسان مختار.[١٥٠]

---

[١٤٥] المصدر نفسه، ٣/٢٤.

[١٤٦] المصدر نفسه، ٣/٢١٢.

[١٤٧] المصدر نفسه، ٣/٢١٥.

[١٤٨] المصدر نفسه، ٣/٢١٦.

[١٤٩] المصدر نفسه، ٣/٢٤.

[١٥٠] المصدر نفسه، ٣/٢١٧.

ج- الفن

يرى الرافعي "أن الفن لا قيد فيه إلا من أجل الإطلاق" وأساسه الفرد وحريته، لكن "الحياة لايبدو في حالة تركيب وانتظام إلا إذا كانت للكل، فإذا كانت لفرد ظهرت في هيئة انحلال وانتقاض، وأصبحت في الكون كله كأنها عمر إنسان واحد."[١٥١] وأن الفن ضار بالكون ونظامه، يؤكد ذلك ما يكمل هذا القول وهو "إن للفن ألوانا لا بد منها لتصويره الجميل الذي تعجب به النفس، والشيطان هو اللون الأحمر فيها ... أي هو أشدها زهوا وإشراقا وجمالا في التصوير الفني لكل ما في المرأة والحب والجمال وشهوات النفس". والرافعي لا ينكر أن الفنون تكسب الحياة القوية نشاطا ومرحا ورونقا ومتعة، لكنه يرى ذلك تأثير ساعة زائلة وعاقبته الحزن والهلاك.[١٥٢]

ويقرر الرافعي أن أساس الفن هو ثورة الخالد في الإنسان على الفاني فيه، والشاعر والأديب والفنان علاج للحياة، يبدعون عالما للصفات الإنسانية الجميلة أركانه الاتساق في المعاني والجمال في التعبير والحق والخير في الغرض.[١٥٣] والنوابغ يحولون سرور الحياة إلى الفن[١٥٤]، فالعبقرية قدرة تتصرف في الفن، مثلما أن الفن قدرة تتصرف في الجمال[١٥٥]. وهكذا تكون العبقرية متصرفة في الجمال عن طريق الفن.

---

[١٥١] **المصدر نفسه**، ٣/٢٣.

[١٥٢] **المصدر نفسه**، ٣/٢٣-٢٤

[١٥٣] **المصدر نفسه**، ٣/٢١٣.

[١٥٤] **المصدر نفسه**، ٣/٢٢٣.

[١٥٥] **المصدر نفسه**، ٣/٢٢٦.

د- البيان الفني

تبين الرافعي البيان الفني في مقالته عنوانها: **البيان** في الجزء الأول من **وحي القلم** حيث تحدث عن المقالة البيانية ، وصفتها عنده أنها تشتمل على المعاني وتثير ألفاظها مواقع الشعور ومكامن الخيال.[١٥٦]

ويرى الرافعي أن الطبائع الملهمة لا تستغني عن البيان، إن كثرة الصور البيانية الجميلة التي تستعمل في عرض الحقيقة الجميلة، هى كل ما يمكن من طريقة تعريفها للإنسانية.[١٥٧]

والرافعي يفصل بين أسلوب البحث الذي يندر فيه البيان، وبين الفن البياني، فغاية الأول صحة الأداء وسلامة النسق، أما الثاني فغايته "قوة الأداء مع الصحة، وسمو التعبير مع الدقة، وإبداع الصورة زائدا جمال الصورة". وفي الأول معان وألفاظ، أما الثاني فإلهام.[١٥٨]

وإن اللغة البيانية تمتاز من اللغة العلمية بقوة العبارة وبالإبداع والجمال والمبالغة والعاطفة والخيال وكلها يسمو باللغة ويعتمد على الإلهام.[١٥٩]

---

[١٥٦] **المصدر نفسه**، ١٥/١.

[١٥٧] **المصدر نفسه**، ١٦/١.

[١٥٨] **المصدر نفسه** والصفحة نفسها.

[١٥٩] **المصدر نفسه**، ١٧/١.

ه- النقد الأدبي

يعتبر الرافعي بأن الأدب في عصره متخلف لم يكمل نمـــوه بعـــد، وأن السبب في تخلف الأدب إنما يرجع إلى سقوط في النقد الأدبي، ويـــــبرهن علـــى صحة ما ذهب إليه "بأن أقوى الأسباب التي سمت بالشعر فيما بعد القرن الثـــاني الهجري، وجعلت أهله يبالغون في تجويده وتهذيبه، كثرة النقاد والحفاظ، وتتبعـــهم على الشعراء، واعتبار أقوالهم، وتدوين الكتب في نقدهم، كالذي كان فـــي دروس العلماء وحلقات الرواية ومجالس الأدب"[١٦٠].

أما في ما يسمى عصر النهضة الأدبية في تاريخ الأدب العربي المعاصر والذي شهد فيه الرافعي النشاط السياسي والأدبي، فإن فن النقد الأدبي لم يســـتطع أن يقف على قدميه، ولم يصل نتيجة إلى المستوى الذي يمكنه من توجيـــه الأدب وإغنائه، فضعف في رأيه الأدب لضعف النقد، ويقول الرافعي في ذلك:

"وأنت من النقد في هذه النهضة بين اثنين: صديق هـــو الصديـــق، أوعدو هو العدو، فإن ابتغيت لهما ثالثا فكاتب لا تتعادل وسائل النقد فيـــه فلا خير في كلامه." [١٦١]

وينعى الرافعي على النقد الأدبي -خاصة نقد الشعر- من ضعف وفســـاد في عصره فيقول:

---

[١٦٠] المصدر نفسه، ٣/٣٢٤.

[١٦١] المصدر نفسه، ٣/٣٢٥.

"أصبح أكثره، مما لا قيمة له وساء التصرف به، ووقع الخلط فيه، وتناوله أكثر أهله بعلم ناقص، وطبع ضعيف، وذوق فاسد، وطمع فيه من لا يحصل مذهبا صحيحا، ولا يتجه لرأى جيد، حتى جاء كلامهم وإن في اللغو والتخليط ما هو خير منه وأخف محملا، فإنك من هنين في حقيقة مكشوفة تعرفها تخليطا ولغوا ولكنك من نقد أولئك في أدب مزور ودعوى فارغة وزوائد من الفضول والتعسف يتزيدون بها للنفخ والصولة وإيهام الناس أن الكاتب لا يرى أحدا إلا هو تحت قدرته... على أن جهد عمله إذا فتشته واعتبرت عليه ما يخلط فيه، أنه يكتب حيث يريد النقد أن يحقق، ويملأ فراغا من الورق حيث يقتضيه البحث أن يملأ فراغا من المعرفة." [١٦٢]

وأما الناقد الأدبي عند الرافعي فهو من استكمل أدوات النقد ووسائله، من استعداد ومعاناة لفنون الأدب من شعر ونثر، وإحاطة الأدب بأجناسه وفنونه، ولا بد مع ذلك من استعداد خاص بالذوق الفني وليس هذ الذوق عنده إلا آت من الإبداع في صناعتي الشعر والنثر، ولا بد له كذلك من الموهبة التي تجمع بين العلم والفكر والمخيلة، "فتبدع من المؤرخ الفيلسوف الشاعر العالم شخصا من هؤلاء جميعا"[١٦٣].

أما النقاد الذين عاشوا في عصر الرافعي، فلم يكونوا -في رأيه- على المستوى الذي يأمل فيه للنقاد، ويسخر من نقاد عصره، ويراهم متنكبين الطريق الصحيح للنقد. ولا يكتفي الرافعي بأن يعيب هؤلاء النقاد من حيث قلة توفر وسائل النقد عندهم، وهو لا يرضيه كذلك منهج النقد الذي ينهجون، ويرى هذا

---

[١٦٢] **المصدر نفسه**، ٢٣٨/٣.

[١٦٣] **المصدر نفسه**، والصفحة نفسها.

المنهج عقيما يكتفي الناقد فيه بالتعليق على الأثر الأدبي أو تلخيصه، ويـــرى أن هذا الأسلوب يجعل عملية النقد لا قيمة لها ولا أثر، ويحول الناقد خاضعا لكل مـا قاله الأديب، فيبدو الناقد متطفلا في عمله، وهو في الحقيقة لم ينقد ولا يبين عـــن أسباب القوة والجودة أو أسباب الضعف والرداءة[١٦٤]

مقالاته السياسية

كانت الأحداث السياسية في زمن الرافعي متلاحقة، فقد شـــهدت مصـــر النصف الأول من القرن العشرين الأحداث المتعددة، وشـــغلت هـــذه الأحـــداث السياسية الناس في ذلك الوقت، وألهبت عواطفهم وحركت أقلامـــهم، وأنضجـــت فكرهم السياسي وبيانهم الأدبي، وأيقظت عند بعضـــهم مثـــل الرافعـــي الاتجـــاه الإسلامي فيما يكتبون، ولقد تركت هذه الأحداث في أدب الرافعي آثارا بـــارزة. وجرت على قلمه في هذه المقالات التي عالج فيها القضايا السياسية فـــي زمنـــه، ونظر إليها جميعا من خلال النظرة الإسلامية.

١- نكبة فلسطين

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى كانت فلسطين قـــد وقعـــت فـــي يـــد الإنجليز، وأعلنوا عزمهم على إقامة وطن قومي لليهود فيها، وكان قد صدر وعد **بلفور** (Balfour) وزير خارجية إنجلترا في الثاني من نوفمبر ســـنة ١٩١٧ وفيـــه تتعهد إنجلترا بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.[١٦٥]

---

[١٦٤] **المصدر نفسه**، ٣/٢٣٨-٢٣٩.

[١٦٥] M. Lütfullah Karaman, "Filistin", TDV İslam Ansiklopedisi, İstanbul 1996, C. 13, s.94.

T.C. YÜKSEKÖĞRETİM KURULU
DOKÜMANTASYON MERKEZİ

ومنذ ذلك التاريخ تجري الاشتباكات بين العرب واليهود من عـام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٩ أي بعد وفاة الرافعي بعامين.

وألف الرافعي أربعة مقالات حول هذه المحنة في ثورة فلسـطين سـنة ١٩٣٦[١٦٦]. وهذا التاريخ يوضح أن الرافعي قد كتب هذه المقالات يحث العـرب جميعا على مقاومة المستعمر المحتل للأراضي العربية من الإنجليز واليهود معا.

وهو يصور محنة فلسطين ، فيراها محنة المسـلمين جميعـا، ويتوجـه بحديثه إلى المسلمين، فيثير فيهم الأخوة الكامنة، ويحـرك الضمـائر المنكوبـة، ويدعوهم إلى التبرع لتخليصها من الإستعمار والصهيونية.[١٦٧]

وينبه على أمل اليهود والإنجليز تصريحا بأن يخبئوا فـي أدمغتـهم أن يكون العرب أقلية، وأن يكونوا بعد ذلك خدمهم، ولليهود أملهم السياسي وخيالـهم الديني وهو طرد الحقيقة المسلمة على الأرض الفلسطيني[١٦٨]،

وينادي الرافعي إلى شباب العرب أن يتخلقوا بأخلاق الإسلام وأن يكـون من الإيمان علامة هى أنهم لا يذلون لأحد ولا لشيء، وفـي الإسـلام خـلاص العرب والمسلمين من كل شيء يحيط بهم.[١٦٩]

---

[١٦٦] **وحي...**، (هامش)، ٢/٢٣٠.

[١٦٧] **المصدر نفسه**، ١/٢٦٠.

[١٦٨] **المصدر نفسه**، ٢/٢٤١.

[١٦٩] **المصدر نفسه** والصفحة نفسها.

٢- نهضة الأقطار العربية

لقد عاش الرافعي حياته كلها في عهد الاحتلال الإنجليزي لمصر، ولقد رآى بعينيه وسمع بأذنيه كل أسباب الاحتقار، وإذا كان الإنجليز يحتلون الأرض التي ولد فيها، فإن الشطر الثاني من أسرته في أرض لبنان حيث فعل الاحتلال الفرنسي بها.

ونظر الرافعي إلى كل الأمة العربية جميعا تحت نفس الاحتقار والاستذلال، ويفكر الرافعي في حاضر كل البلاد العربية، وربط بين الحاضر والماضي، وعبودية الحاضر قد جاءت نتيجة للتفرق والتخلف وضعف الديني والانحلال الأخلاقي، وسيادة الماضي كان نتيجة لوحدة الأرض وتماسك سكانها دينيا وخلقيا فانتهى إلى تبني فكرة الوحدة الإسلامية على الأرض العربية.

ويقصد الرافعي إلى تأكيد فكرته حول نهضة الشرق العربي في ظل الإسلام فيضيف إليها اللغة العربية، والدين واللغة عند الرافعي توأمان لا يفترقان، وهو يرى الاعتداء على واحدة منهما اعتداء على الأخرى، وهو في ربطه بينهما حتى في مجال السياسة[١٧٠].

إن الوطن العربي الذي يريده الرافعي وطن أصيل لا يقلد الغرب، ويجب على المسلمين أن يكونوا تجاه الغرب يقظين ومرجحين على كل وافد من أوربا، ولا بد أن يتدبر قبل أن يقلد أو يستجيب للدعوات المتوالية الصادرة من المستعمرين، ولكن لا بأس من الأخذ بوسائل الحسن وتطويره بما يجعله ملائما لطبيعة الشرقية والدينية وهو يقول في ذلك:

---

[١٧٠] المصدر نفسه، ١٧٢/٣.

"وإني أرى أنه لا ينبغي لأهل الأقطار العربيـــة أن يقتبســـوا مـــن عناصر المدنية الغربية اقتباس التقليد، بل اقتباس التحقيق، بعد أن يعطـوا كل شيء حقه من التمحيص ويقلبوه على حالتيه الشرقية والغربية، فـــإن التقليد لا يكون طبيعة إلا في الطبقات المنحطة، وصناعة التقليد وصناعة المسخ فرعان من أصل واحد، وما قلد المقلد بلا بحث ولا رواية إلا أتـى على شيء في نفسه مـــن ملكـــة الابتكـــار وذهـــب ببعـــض خاصيتـــه العقلية" [١٧١].

ويشترط الرافعي لتقويم بناء الشرق هذه الأركان الأربعة[١٧٢]:

١- المحافظة على الضوابط الإنسانية القوية التي هى مظاهر الأديان،
٢- إدخال الواجبات الاجتماعية الحديثة فـــي هـــذه الضوابـــط لربطـــها بالعصر وحضارتها،
٣- تنسيق مظهر الأمة على مقتضى الواجبات والضوابط،
٤- العمل على اتحاد المشاعر وتمازجها لتقويم هذا المظهر الشعبي فـــي جملته بتقويم أجزائه.

---

[١٧١] **المصدر نفسه، ٣/١٧٤.**
[١٧٢] **المصدر نفسه، ٢/٧٨.**

ويقرر الرافعي المعاول الأربعة التي يهدم بناء الشرق[١٧٣]:

١- الإلحاد، والاتجاهات السافلة التي وردت من أوربا،
٢- الجهل،
٣- التدليس على الأمة بآراء المقلدين والمستعمرين لمحق الأخلاق الشعبية،
٤- الاختلاف والتخاذل.

مقالاته الدينية

ويمكن أن نقسم المقالات الدينية للرافعي إلى مجموعات أربع:

المجموعة الأولى: إنها تتحدث عن شخصية الرسول ويتناول حياة الرسول بالتحليل والتفصيل، ويعرف الرافعي بالدين والنبي تعريفا يربط الإنسان بهما ربطا محكما، ويرينا أن ولادة النبي ضرورة كونية لحياتنا، مثل الظواهر الكونية من شمس وقمر،[١٧٤] ويهدف إلى ضرورة الاتصال الروحي به في كل يوم حتى يكون المسلم اليوم كمسلم صدر الإسلام، فالرسول هو الهادي والقائد والزعيم، ومن أجل ذلك كانت الضرورة تدعو إلى دوام الاتصال بالهادي القائد الزعيم[١٧٥].

---

[١٧٣] المصدر نفسه، ٢/٧٩.
[١٧٤] المصدر نفسه، ٢/٥.
[١٧٥] المصدر نفسه، ٢/١١.

المجموعة الثانية: إنها تتحدث عن كبار الشخصيات الإسلامية البارزة في التاريخ الإسلامي.

المجموعة الثالثة: تحدث فيها عن مكان الدين الإسلامي وفلسفته في الحياة والأحياء، ودعا إلى الاقتداء بنبي الإسلام وتحدث عن طبيعة الدين وحقيقة منهجه في الحياة، وبين نظامه والأسس التي يقوم عليها، وتحدث أيضا عن المسجد وحقيقته ووظيفته في المجتمع الإسلامي، وأثره في تكوين الفرد المسلم. ويناقش فيها فلسفة المسجد في الإسلام فيقرر أن المسجد يجمع الناس ليخرج الناس من دنيا ذاته فلا يفكر أحد أنه أسمى من أحد، ويفقد كلمة الكبرياء فيه[١٧٦].

ويقرر الرافعي أن فلسفة الإسلام كلها كامنة في الكلمتين هما "ثبات الأخلاق" مع تأكيده أن الأخلاق "هي الطريقة الوحيدة المثلى لتنظيم الشخصية الفردة على مقتضى الواجبات العامة"[١٧٧] والأخلاق كان من الأهمية بمكان لنهضة الشرق.

المجموعة الرابعة: قد تحدث فيها الرافعي عن العبادات الإسلامية وأثرها في تكوين الفرد وتوجيهه نحو الحق والخير. وفي إطار ذلك يحلل الرافعي المعاني الفلسفية لكل حركة من حركات الصلاة من التوجه إلى القبلة حتى الخروج من الصلاة.[١٧٨]

---

[١٧٦] **المصدر نفسه**، ٢/٢٤٤.

[١٧٧] **المصدر نفسه**، ٢/٧٣.

[١٧٨] **المصدر نفسه**، ٢/١٣-١٤.

T.C. YÜKSEKÖĞRETİM KURULU
DOKÜMANTASYON MERKEZİ

وكما أنه يناقش فلسفة الصوم، ويذكر أنه سبيل الله لإصلاح النفوس وتطهيرها من البخل والطمع والفساد، وكان الصوم تهذيبا وتدريبا يجعل الناس جميعا يشعرون شعورا واحدا، وينطلق الرافعي إلى إثبات الرحمة من الصوم والصائمين.[١٧٩]

والصوم يربي الرحمة في النفس، فقد تنشأ الرحمة في النفس بشكل غير طبيعي وغير اختباري، وذلك يكون عادة عن طريق النكبات والكوارث، ومتى تحققت الرحمة في القلوب، سادت الإنسانية وزادت علاقة الناس بعضهم ببعض في أكمل صورة، ويرى أنه لو عم الصوم الإسلام على الأرض لكان بمثابة إعلان الثورة شهرا على النفس الإنسانية لتخليصها من رذائلها.[١٨٠]

---

[١٧٩] المصدر نفسه، ٢/٦٧.

[١٨٠] المصدر نفسه، ٢/٧٠.

الخاتمة

كان الرافعي صاحب مدرسة ذات أتباع وإن كان يرفض مصطلح المدرسة الأدبية. وقد بحث في طبيعة الفن والأدب وغاياتهما. واتبع في دواوينه النمط التقليدي، ومع ذلك يشكو من قيود العروض ويطالب بتطوير الشكل الشعري. ويعد هذا أول خروج على النمط الشعري التقليدي، وتأثر بكثير من شعراء عصره أمثال البارودي، وحافظ إبراهيم، وأحمد شوقي، وخليل مطران.

ولا شك في أن كتبه كانت فائقة الأهمية، فهو مؤلف ثان بعد جرجي زيدان في الكتابة المنهجية في تاريخ الآداب العربية، وصاحب أول شعر نثري رمزي عربي في **حديث القمر ورسائل الأحزان**. وهو يميل إلى الشعر المنثور، فهو يرى بعض كتبه النثرية شعرا، لكن غير موزون ولا يشترط الوزن والقافية للشعر. وفي بعض نصوصه تتوفر الملامح الرومانسية والرمزية، ويقول إن أساس الفن هو الفرد، ويؤكد صلة الشعر والأدب عامة بالقلب.

وكان يعيش حالة أشبه بالانطواء النفسي بسبب مرضه وهو كان دائم الحزن، يغلب عليه نفسية الناس الحساسين وتشاؤمهم وسأمهم وعزلتهم. وكانت عزلته راسخة في نفسه منذ الطفولة حتى دعوه مجنونا. حالته النفسية هذه تدفعه إلى الغضب على الناس، ويميل إلى الزهد، ومن أجل ذلك كان يعتزل الناس وينقطع عنهم لا يلقاهم اللهم إلا فيما يقرأ لهم وما يقرأون له.

وكان بسبب ذلك عنيفا وشديدا في مناقشاته الأدبية، يخرجه غضبه عن وقاره، ولم تكن آراؤه في كل الحالات منبثقة عن النفسية المذكورة، بل هي

صادرة في أكثر الأحيان عن شعور ديني وطني يقاوم الدعوات المنحرفة في نظره.

وكان يعارض دائما ما يسميه ب"الجديد المزيف" الذي يريد قطع الصلة بين اللغة العربية وبين القومية والإسلام لكي يحل محلها اللهجة العامية والذي يريد أيضا ترويج النزعة الفرعونية والتغريب. ورغم رفضه لفكرة "الجديد المزيف" فإنه يدعوإلى تجديد اللغة مع حفظ تراكيبها السليمة الفصيحة، وامتزجت اللغة والإسلام في أدب الرافعي، وعنده من يحقد على اللغة إنما يحقد في الوقت نفسه على الدين الإسلامي.

وكان للرافعي ذوق فني خاص في اختيار كلماته، هذا الذوق الفني هيأ له أن يفهم القرآن ويعرف سر إعجازه، وكان إلمامه باللغة وإحاطته بأساليب العربية مكنه من البلوغ إلى البيان الرفيع في الأدب. لم تكن الكتابة عند الرافعي فكرة ومعنى وعاطفة فحسب، بل كانت فنا وأسلوبا أيضا.

إلا أنه يبالغ أحيانا في استعمال لغة قديمة تقليدية تحديا لخصومه، لكن ذلك تطرف ذاتي لا ينفي الأبعاد الحقيقية للمناقشات. والرافعي يصعب فهم أسلوب كتابته ومنهج تفكيره على القراء المتوسطين في ثقافتهم، مما جعل الكثير من القراء ينصرف عنه ويميل إلى خصومه المجددين الذين لا يتقيدون بألفاظ القدماء وأساليبهم.

وأما مقالات الرافعي في وحي القلم فتبدو لوحة حية ذات ألوان قوية. ولا شك في أن أسلوب الرافعي ضمن وحي القلم يبدو صعبا لمن تعود على القراءة السهلة، ويحمل كثيرا من المعاني القوية. إن الرافعي يبني مقالاته على أساس فني خاص، وهذا الأساس يتمثل في أسلوب قصصي متضمن شخصيات حية، وحوارا

قويا. والرافعي في هذا الأسلوب الخاص لمقالاته لايتقيد بما هو معـــروف فـــي العمل القصصي، ولكنه يسرد الحادث في ثوب القصة، ثم يفتح بابا للتحليل الأدبي والتفسير النفسي يكشف من خلاله عن مدلول هذه الأحداث.

YÜKSEKÖĞRETİM KURULU
DOKÜMANTASYON MERKEZİ

المراجع

أبو رية، محمود : **من رسائل الرافعي**، القاهرة ١٩٥٠

Er, Rahmi :"Muhammed Huseyn Heykel ve Onun Dil ve Edebiyatla Ilgili Bazi Görüşleri", *Ankara Üniversitesi Dil ve Tarih Coğrafya Fakültesi Dergisi*, C. XXXVII, Say: 1-2, (Ankara 1995), s. 599-623

Ayyıldız, Erol : "Mustafa Sadık er-Rafii'nin Arap Edebiyat Tarihi Adlı Eserinin Tetkiki", *Uludağ Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi*, C. 3, Sayı: 3, (Bursa 1991), s. 131-149

بروكلمان، جارل : **تاريخ الشعوب الإسلامية**، م. نبيه أمين فـــارس، منير البعلبكي، نبيه أمين فارس، بيروت ١٩٩٣

البيومي، محمد رجب : **مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت رايـــة القرآن**، دمشق ١٩٩٧

Çetişli, İsmail :**Batı Edebiyatnda Edebi Akımlar**, Isparta 1998

الجوزو، مصطفى : **مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية**، بيروت ١٩٨٥

حافظ، عبد السلام هاشم : **الرافعي ومي**، ب.ت.

حسين، محمد محمد : **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، ج ٢، بيروت ١٩٨٦

حسين، طه : **حديث الأربعاء**، ج ٢، بيروت ١٩٨٠

----، ---------- : **في الأدب الجاهلي**، القاهرة، ١٩٨٩

الدسوقي، عمر : **في الأدب الحديث**، ج ٢، القاهرة ١٩٥١

الرافعي، مصطفى صادق : **وحي القلم**، ج ١-٣، بيروت ب.ت.

----، ---------- : **تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد**، بيروت ١٩٨٣

----، ---------- : **رسائل الأحزان، السحاب الأحمر:في فلسفة الجمال والحب، أوراق الورد: رسائلها ورسائله، (تقديم عبدالقادر القط)**، الجيزة ١٩٩٤

----، ---------- : **رسائل الأحزان**، تونس ١٩٨٨

----، ---------- : **كتاب المساكين**، بيروت ١٩٨٢

----، ---------- : **من وحي القلم، (تقديم رجاء النقاش)**، القـــاهرة ١٩٩٥

الزركلي، خيرالدين : **الأعلام**، ج ٧، بيروت ١٩٩٢

زيدان، جرجي : **تراجم مشاهر الشرق في القرن التاسع عشـــر**، ج ٢، بيروت ب.ت.

ساركيس، يوسف إليان : **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، القـــاهرة ١٩٢٨

Sarmış, İbrahim :**Bir Edebiyatçı Olarak Abbas Mahmud el-Akkad**, Konya 1993

السطوحي، عبد الستار علي : **الجانب الاجتماعي في أدب المفكر الإســـلامي مصطفى صادق الرافعي**، القاهرة ١٩٨٦

الشكعة، مصطفى : **مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكـــرا إسلاميا**، بيروت ١٩٨٣

ضيف، شوقي : **الأدب العربي المعاصر في مصر**، القاهرة ١٩٧٤

العريان، محمد سعيد : **حياة الرافعي**، القاهرة ١٩٥٥

عوضين، إبراهيم : **مصطفى صادق الرافعي أديبا إسلاميا**، مصر ١٩٩٥

الفاخوري، حنا : **الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب الحديث**، بيروت ١٩٨٦

فؤاد، نعمات أحمد : **دراسة في أدب الرافعي**، القاهرة ب.ت.

Karaman, M. Lütfullah :"Filistin", **TDV İslam Ansiklopedisi**, C. XIII, İstanbul 1996

الكتاني، عبدالرحيم وبغداد، عبد العزيز: **المفيد في تراجم الشعراء والأدباء والمفكرين**، ١٩٩٣

كحالة، عمر رضا : **معجم المؤلفين**، ج ٣، بيروت ١٩٩٣

محمود، علي عبدالحليم : **نحو أدب إسلامي معاصر**، الرياض ١٩٨١

هيكل، أحمد : **تطور الأدب ا لحديث في مصر**، القاهرة ١٩٧٨

T.C. YÜKSEKÖĞRETİM KURULU
DOKÜMANTASYON MERKEZİ

ملخص الرسالة باللغة التركية

ÖZET

Mustafa Sadık er-Rafii, şiir, deneme, eleştiri, makale, inceleme ve araştırma türlerinde ürünler vermiş Modern Arap Edebiyatının önemli yazarlarından birisidir. Hayatı boyunca yakalandığı çeşitli hastalıklar, yazarın psikolojisi üzerinde olumsuz etki yapmıştır. Bu durum, zaman zaman makalelerinde ve dönemin ünlü yazarlarıyla "eski-yeni" konularında giriştiği edebi münakaşalarındaki sert, kırıcı ve tavizsiz üslubunda da kendini göstermiştir. Kişisel yeteneklerinin yanı sıra, babasının ona bıraktığı kütüphane sayesinde kendi kendini yetiştirmiş olan Rafii, edebi hayata şiir ile başlamış ve ilk olarak *Divanu'r-Rafii*'yi, ardından da *en-Nazarat* adlı divanını yayımlamıştır. Mahmud Sami el-Barudi, Hafiz İbrahim, Ahmed Şevki ve Halil Mutran gibi dönemin meşhur şairlerinden etkilenmiş ve şiirlerinde sevgi, aşk, güzellik, tabiat gibi konuların yanı sıra, dini ve milli temaları da işlemiştir. Divanlarını geleneksel kalıplarla yazmış olmasına rağmen, bir ilki gerçekleştirerek klasik şiir kalıplarını eleştirmiştir. O bu eleştirisini, aruza ve diğer kurallara bağlı kalma endişesinin, genelde şairin daha geniş ifade imkanlarından yararlanmasına engel olduğu, özelde de iç dünyasını ifadede sınırladığı savı üzerine temellendirmiş ve daha sonra nesre geçerek bu alanda önemli eserler vermiştir.

Rafii makalelerini üç ciltten oluşan *Vahyu'l-Kalem* adlı eserinde toplamıştır. Araştırmamızın ikinci bölümünü oluşturan bu eserde edebiyattan, siyasete, sosyal konulardan, felsefeye, hatıralardan dini konulara kadar geniş bir yelpazeye yayılan, yazarın bütün edebi özelliklerini yansıtan 160 makale yeralır. Bu makalelerin büyük çoğunluğu, 1934-1937 yılları arasında Ahmed Hasan ez-Zeyyat'ın *er-Risale* adlı dergisinde yayımladığı yazılarıdır. Bunlar öncekilere nazaran daha anlaşılır bir üsluba sahiptir. Zira bu dönemde halkla daha iç içedir. Onların anlayacağı bir dille yazılarını kaleme almıştır.

Rafii, İngilizler'in Mısır'ı işgali sonucu yaptıkları tahribata şahit olmuş, bu işgalin toplumda meydana getirdiği olumsuzlukları bizzat yaşamış ve bunları *Vahyu'l-Kalem*'deki makalelerinde dile getirmiştir. İngilizlerin ve onlarla birlikte hareket eden bazı aydınların, fasih Arapçanın ortadan kaldırılarak yerine halk lehçesinin ikame edilmesi yönündeki düşüncelerine şiddetle karşı çıkmış, bu konuda çok sert eleştirilerde bulunmuştur. Ona göre, yenileşme adına fasih Arapça'ya yapılan hücumların arka planında İslam dinini toplum hayatından silmek, Kur'an'ın dilini bozmak gibi sinsi niyetler yatmaktadır. Onun nazarında dil ile İslam bütünleşmiştir. Dile karşı tavır alanları İslam'a karşı da cephe almış sayar. Bununla birlikte, Arapça'nın temel ilkelerini ve fesahatini bozmaması şartıyla bazı yeniliklere de olumlu bakar.

Rafii'nin yazılarında din önemli bir faktördür. Kur'an'ı en yüce edebiyat, Hz. Peygamber'i de belagatı ve fesahatıyla en büyük edip kabul etmektedir. Dolayısıyla sık sık Kur'an'dan ve Hz. Peygamber'in sözlerinden alıntılar yapmıştır. Hiçbir edebi akım ve harekete katılmamış, hepsinden birşeyler alarak kendi tarzını geliştirmiştir. Kelimeleri seçiminde kendine özgü bir sanat zevki vardır. Bu zevk, ona Kur'an'ı ve onun icazını anlama yollarını hazırlamıştır. Dilin inceliklerine ve klasik Arap üslubuna vakıf olması, onu edebiyatta üstün bir ifade gücüne eriştirmiştir. Yazı yazma ona göre, sadece bir fikirden, manadan ve duygudan ibaret olmayıp, aynı zamanda da bir sanat ve üsluptur.

Çoğu eleştirmen, yazarın üslubunun anlaşılmaz ve kapalı olduğu yönünde görüş birliği içerisindedir. Bu üslubu nedeniyle, yazılarında sadelik, tabiilik ve akıcılık yerine zorlama hakimdir. Yazılarında teşbih, mecaz, istiare gibi belagat sanatlarını ve hayal gücünü de büyük ölçüde kullanmaktadır. Bu durum onun bazı edebiyatçılar tarafından anlaşılmaz bulunmasına yolaçmıştır. Nitekim Taha Huseyn gibi devrinin ünlü fikir adamı ve yazarları, Rafii'nin kullandığı üslubun yaşadığı çağın şartlarına uymadığını belirtmişler ve onu eskiye bağlı kalmakla itham etmişlerdir.

Edebi makalelerinde sanat ve edebiyat konularında görüşlerini ayrıntılı bir şekilde açıklamıştır. Ancak sözkonusu makaleleri soyut kavram ve sembolik ifadelerle doludur. Makalenin başı ile ortası ve sonu arasında konu birliği sağlamak güçtür. Konudan konuya ani geçişler yapmıştır.

Sosyal ve siyasi muhtevalı makalelerinde, yaşadığı dönemde çokça tartışılan konuları işlemiştir. Batıya açılma ile birlikte Mısır toplumunda yaygınlaşmaya başlayan batılı hayat tarzı, kadın özgürlüğü, batı taklitçiliği, fakirlik problemi, gelir dağılımındaki dengesizlik, gerek Mısır ve gerekse başka ülkelerde gerçekleştirilen reform hareketleri, karma eğitim, geleneğin terki, evlilik kurumunun küçümsenmesi, eşler arasındaki denksizlik, yönetici kesimlerin İslami duyarlılıklarındaki eksiklik, dini hayatın yozlaşması gibi konularda görüşlerini ayrıntılı olarak dini referanslar da kullanarak bir vaiz üslubuyla ortaya koymuştur. Ayrıca dinin fert ve toplum hayatındaki yeri ve önemi, Hz. Peygamber'in örnek kişiliği, üstün belagatı, ibadetlerin iyiye ve doğruya yönlendirmedeki rolü ve ahlaki konularda felsefi tahliller yapmıştır.